نقد النثر في السنة النبوية
قراءة تحليلية في إشكاليته ومعاييره

د. صبري فوزي عبدالله أبوحسين
كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي

ملخص البحث :

من ثوابت ديننا الحنيف أنه ليس بعد كلام الله تعالى أبلغ من كلام رسوله محمد ﷺ ؛ إذ هو أحسن الخلق بيانًا وأفصحهم تفصيلاً وأشملهم تأصيلا ، وأنه قد أوتي ﷺ جوامع الكلم واختُصر له الكلام اختصارًا ، بحيث كان يتكلم بالكلام القليل لفظُه الكثير معناه ، مع كمال الوضوح والبيان. وانطلاقًا من هذه المُسلَّمة دار بحثي هذا عن جانب رائع في الشخصية النبوية ، وعن كنز ثمين من كنوز السنة النبوية ، ندر مَنْ تحدث عنه وبحث فيه ، و هو "نقد النثر" . فـ"نقد النثر" مصطلح نُسِيَ - أو أُنسِيَ - في دراسة المادة النبوية الشريفة ، المتعلقة به ؛ فقد تقوقع معظم الباحثين في التراث النقدي النبوي الشريف الدائر حول الشعر فقط ، تاركين النَّقَدات النثرية الكثيرة المتنوعة العميقة الرائعة ؛ إذ تَغَيَّيتُ في بحثي هذا ، بيان معايير نقد النثر في المأثور النبوي الشريف ومعالمه بيانًا يحاول تقديم عرض جديد لهذا النقد ، برؤية خاصة ، بلا تحرُّج أو تأثُّم أو تخوُّف ، بل بكل مرونة مُتاحة ، وبرؤية وسَطية ، صادرة عن حب لهذا المأثور ، وإعجاب وتقدير لحقوله المعرفية العميقة ، ورغبة في الإعلان عن جانب غير ظاهر في الشخصية النبوية الخالدة بسيرتها وسنتها.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله، وصحبه، ومن تبعهم إلى يوم الدين، وبعد:

فمن ثوابت ديننا الحنيف أنه ليس بعد كلام الله تعالى أبلغ من كلام رسوله محمدﷺ؛ إذ هو أحسن الخلق بيانًا وأفصحهم تفصيلاً وأشملهم تأصيلا، وأنه قد أوتي- ﷺ- جوامع الكلم واختُصر له الكلام اختصارًا، بحيث كان يتكلم بالكلام القليل لفظُه الكثير معناه، مع كمال الوضوح والبيان. وانطلاقًا من هذه المُسلَّمة دار بحثي هذا عن جانب رائع في الشخصية النبوية، وعن كنز ثمين من كنوز السنة النبوية، ندر مَنْ تحدث عنه وبحث فيه، و هو "نقد النثر"؛ فقد قدم البحث دلائل على أنه كانت للرسول- ﷺ- وقفات عميقة مع مثلث الإبداع الأدبي: (نصًّا، وناصًّا، ومتلقيًّا) تعليمًا وتوجيهًا وتقويمًا، بما يضمن لهذا المثلث طهارة فكرية وشكلية، تكفل للجميع راحة وسعادة دينًا ودنيا.

فـ"نقد النثر" مصطلح نُسِيَ -أو أُنسيَ- في دراسة المادة النبوية الشريفة، المتعلقة به؛ فقد تقوقع معظم الباحثين في التراث النقدي النبوي الشريف الدائر حول الشعر فقط، تاركين النَّقَدات النثرية الكثيرة المتنوعة العميقة الرائعة؛ إذ تَغَيَّيتُ في بحثي هذا، بيان معايير نقد النثر في المأثور النبوي الشريف ومعالمه، بيانًا يحاول تقديم عرض جديد لهذا النقد، برؤية خاصة، بلا تحرُّج أو تأثُّم أو تخوُّف، بل بكل مرونة مُتاحة، وبرؤية وسَطية، صادرة عن حب لهذا المأثور، وإعجاب وتقدير لحقوله المعرفية العميقة، ورغبة في الإعلان عن جانب غير ظاهر في الشخصية النبوية الخالدة بسيرتها وسنتها؛ فكان عنوان البحث:

"نقد النثر في السنة النبوية: قراءة تحليلية في إشكاليته ومعاييره"

وقد جاء عرض المادة العلمية لهذا البحث في تمهيد، ومباحث ثلاثة، هي:

التمهيد : "إشكالية علاقة النبي- ﷺ- بمصطلح النقد الأدبي".

المبحث الأول : "النقد الأدبي : مصطلحًا ومسيرة".

المبحث الثاني : "تثمين النثر وتأسيسه إبداعيًّا في المأثور النبوي".

المبحث الثالث : "المعايير النبوية في النقد التطبيقي للنثر".

ثم كانت الخاتمة التي أجملت ما فُصِّل، وعددت ما تُوُصِّل إليه من جديد، في هذا العمل الذي أرجو أن أكون فيه خالص النية، صادق التوجه، أمين الرؤية، موفقًا من ربي، عز وجل.

* * *

التمهيد: إشكالية علاقة النبي – ﷺ – بمصطلح النقد الأدبي:

توطئة:

هل في إطلاق مصطلح النقد الأدبي على التعليقات النبوية على النصوص الأدبية ما يشين أو ينال– معاذ الله –من مكانة نبينا الخاتم، صلى الله عليه وسلم ؟

سؤال يفرض نفسه بقوة على أي باحث موضوعي يجول في واحة عصر فجر الإسلام، محاولاً تدبُّر النص الأدبي وما دار حوله – عصرئذ- من حركة نقدية تحاول أن تكون مرشدة، تأخذ بيده إلى الكمال الفني، وتجنِّبه معاطب الطريق.

و هو سؤال جديد، ندر مَن فكر فيه من الباحثين، إذ تناول معظمهم هذه الإشكالية تحت عناوين أراها تبتعد عن هذه الإشكالية، مثل: "الإسلام والشعر"، "النبي والشعر"، "موقف الرسول من الشعر"، " الشعر في ميزان الرسول"، "النظرة النبوية في نقد الشعر"، "موقف السنة المطهرة من الشعر"(1)... وغير

(1) راجع ذلك في: العصر الإسلامي للدكتور شوقي ضيف ص٤٦، طبع دار المعارف سنة ١٩٦٣م.
- دراسات في الأدب الإسلامي للدكتور سامي العاني، طبع بغداد سنة ١٣٩٥هـ.
- من أدب الدعوة الإسلامية ص١٧، د/ عباس الحراري، دار الثقافة بالدار البيضاء سنة ١٩٨١م.
- دراسات في أدب الدعوة الإسلامية، ص ٨٤، د/ محمود حسن زينى، طبع القاهرة سنة ١٩٨٧م.
- شعر السيرة النبوية: دراسة و توثيق، د/ شوقي رياض ص٣٣، ط ١ ١٩٨٧م.
- البيان النبوي، د/ محمد رجب البيومى ص٩١، طبع دار الوفاء بالمنصورة سنة ١٩٨٧م.
- النظرة النبوية في نقد الشعر ، د/ وليد قصاب، طبع مكتبة علوم القرآن بالشارقة سنة١٩٨٧م.
- أثر الإسلام في الشعر، د/ السيد عبد القادر عويضة، ص٣٠، طبع القاهرة سنة ١٩٨٧م.
- الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي، د/ محمد بن مريسي الحارثي، ص٥٣، طبع ١٩٩١م.
- الحياة الأدبية في عصر النبوة والخلافة، د/ النبوى شعلان ص١٧٥، طبع دار قباء سنة ١٩٩٨م.
- التفكير النقدي عند العرب د/ عيسى على العاكوب ص ٤٩، طبع دار الفكر المعاصر سنة ٢٠٠٠م.
- نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، د/ عبد الرحمن رأفت الباشا ص١٣، طبع دار الأدب الإسلامي ط ٥ سنة ٢٠٠٤م...وغير ذلك من المراجع والمظان.

ذلك مما نراه في كثير من الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة والمعاصرة، المتناولة لتلك القضية الشائكة.

وقد أجاب الدكتور محمود حسن زيني[1] عن هذا السؤال إجابة تستفز أي باحث، وتدفعه دفعًا إلى محاورتها، يقول:

"يجب علينا، بعد استعراض الموقفين المتميزين للرسول ﷺ من الشعر: (موقف المشجِّع للشعر الملتزم، وموقف المقوِّم للشعر المعوج) أن نكون على حذر فيما يصدر عنا من قول أو حكم في هذا الصدد، فلا نسرف في القول ونزعم أن رسول الله - ﷺ- كان فيما صدر عنه من تعليقات وملحوظات، ومن تقويم وتشجيع وحض وثناء وتحذير للشعر والشعراء المسلمين، ناقدًا للشعر من الطراز العالي. وحاشا وكلا، بل كان خاتم الأنبياء والمرسلين، عليه أفضل الصلاة والسلام، لقد بعثه الله للعالمين بشيرًا ونذيرًا، ولم يبعثه ناقدًا أدبيًّا، أو حكَمًا بين الشعراء والناس. و لقد أحسن الأديب العقاد(١٨٨٩ - ١٩٦٤ م) - رحمه الله - في دفاعه عن الرسول ﷺ باعتبار تعقيباته وتوجيهاته وتشجيعه الشعر من قبيل كلام الأنبياء، وليس من قبيل كلام" النقاد"[2].

وهذه الرؤية غيرُ منطقية ولا يُستطاع قَبولها على أنها مُسلَّمة شرعية - كما يزعم الباحث - إذ لا يوجد دليل نقلي صريح يعضِّد ما ذهب إليه، فلم ينهَ الرسول الخاتم ﷺ ولا الصحابة الأجلاء، ولا الأسلاف الأماجد، عن ذلك

---

(١) أستاذ بكلية اللغة العربية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، بالسعودية.

(٢) دراسات في أدب الدعوة الإسلامية صـ١١٣، طبع سنة ١٩٨٢م، وراجع مقال: الرسول والشعر، للأستاذ الأديب الإسلامي يوسف العظم في مجلة مركز البحث العلمي بمكة ١٤١/٢، طبع ١٣٩٩م، والأدب الديني، للدكتور زكي المحاسني صـ٥٣.

الإطلاق: إطلاق مصطلح النقد الأدبي - بمفهومه في عهد النبوة- على التعليقات النبوية على النصوص الأدبية عهدئذ.

وليس في إطلاق هذا المصطلح ما يناقض- أو يمانع- كونه بُعِث بشيرًا ونذيرًا. حقًّا وصدقًا، إنه بشير ونذير: بشير للأدباء الملتزمين، ونذير للعاصين الفاسقين، الخارجين على أعراف الإسلام وثوابته في ميدان الكلمة المتأدبة. وصدق الله العظيم؛ إذ يقول: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾[1].

ويقول: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[2] ويقول: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[3].

فهذه نصوص قرآنية تقرر شمولية ما جاء به النبي - ﷺ- لأمور الدنيا والآخرة: حكمًا وتبيانًا وحلاً للقضايا المُشتَجَر فيها، ومنها أمر الأدب والأدباء، بلا شك أو جدال!!! وهي كذلك تدحض ما قاله الباحث من أن الرسول لم يبعث حكمًا بين الشعراء والناس!!!

وليس في الاستئناس بكلام الأستاذ العقاد دليلٌ يؤيد زعم الباحث، إذ لم يظهر فيه الفارق بين كلام النقاد وكلام الأنبياء حول الشعر.

---

(١) سورة المائدة، الآية ٤٩.

(٢) سورة النحل، الآية ٨٩.

(٣) سورة النساء، الآية٦٥.

بـل إن الرجـوع إلى نـص العقـاد في ذلـك يوضـح الرؤيـة ويـضيف جديـدًا في الإشكالية المطروحة. يقول: " وقد نقلت إلينا تعقيبات معدودة عن رأي النبي ﷺ في الشعر والشعراء، لا تدخل في النقد الفني، وتدخل في كلام الأنبياء، الذين يقيسون الكلام بقياس الخير والصلاح، والمطابقة لشعائر الدين وسنن الصدق والفضيلة... وقد استحسن ما قيل من الشعر في النضح عن الإسلام والذود عنه وعن أهله، فكانت آراؤه هذه وشبيهاتها آراء الأنبياء فيما يحمدون من كلام؛ لأنهم قد بُعثوا لتعليم الناس دروس الخير والصلاح، ولم يبعثوا ليلقّنوهم دروسًا في قواعد النقد والإنشاء"[(١)].

كأني بالعقاد- رحمه الله تعالى- من الداعين إلى علمية أو علمانية النقد الأدبي؛ إذ ينطلق هنا من المقولة الخطيرة السائدة في الوسط الثقافي، والزاعمة بأن الفن للفن[Art for art، sake]، أو التغنِّي بلا غاية[(٢)]، وبأن الدين بمعزل عن الفن[(٣)]، وهي مقولة وافدة تمثل أساسًا فلسفيًّا للمدرسة البرناسية[(٤)]... إن هؤلاء

---

(١) عبقرية محمد - ﷺ- صـ١١٧، طبع المكتبة العصرية ببيروت، ودار الكتاب العربي سنة ١٩٦٩م. ودراسات في أدب الدعوة الإسلامية: صـ١١٣.

(٢) راجع: في النظرية الأدبية والحداثة ص١٢٣، د/حلمي علي مرزوق، طبع دار الوفاء بالإسكندرية، سنة٢٠٠٤م، نقلًا عن Brooks&Wimsatt:Literary Criticism vol III ch٢٣

(٣) وهي مقولة لها جذور تراثية عند ابن المعتز في دفاعه عن شعر أبي نواس، وعند أبي بكر الصولي في رده على من عاب شعر أبي تمام بالكفر بقوله: "وما ظننت أن كفرًا ينقص من شعر، ولا إيمانًا يزيد فيه"، وعند القاضي الجرجاني في قوله الشهير الجهير" والدين بمعزل عن الشعر". راجع: أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي، صـ١٧٢، تحقيق د/ خليل محمود عيد وآخرون، بيروت بدون تاريخ، والوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني صـ٦٣- ٦٤، و جمع الجواهر في الملح والنوادر للحصري، صـ٣٣- ٣٤ تحقيق محمد علي البجاوي سنة ١٩٥٤م، و الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي ص٦٣ وما بعدها، وصـ١١٧، وما بعدها، د/ محمد مريسي الحارثي...إلخ.

(٤) مذهب أدبي غربي حديث، يقوم على مُعارَضة[مُضادَّة] الرومانسية، معتبرًا الفن غاية في ذاته، لا وسيلة للتعبير عن الذات. وهو مشتق من لفظة "برناس" وهي: جبل شهير ببلاد اليونان، تقول أساطيرهم: إن

يذهبون إلى أن بين الدين والفن علاقة النفور والخصام! وأن كلام الأنبياء ومن سار في ركبهم، كلام كهنوتي، صادر عن رجال دين(بالمفهوم الغربي للكلمة)!! فالأديان تبحث عن الحقيقة، والفن يبحث عن الجمال. وفرق بين الحقيقة التي تتقيد بأنها حقيقة، وبين الجمال الذي لا يتقيد بشيء؛ لأنه هائم طليق يسبح في عالم الخيال..ثم هناك الناحية الخلقية؛ فالأديان تحرص على الأخلاق، والفن يكره القيود كلها، بما فيها قيود الأخلاق. لابد إذن أن الفن الإسلامي مجموعة من الحكم والمواعظ والإرشادات!!

ونتج عن تلك الرؤية أن صار التيار الإبداعي والنقدي، المضاد لها- الذي يُعرَف باسم الأدب الهادف (الأدب الإسلامي)- في موقف الرد؛ إذ نص أصحابه على أن هذه الرؤية تقوم على"فهم ضيق للدين والفن على السواء. إن الدين يلتقي في حقيقة النفس بالفن؛ فكلاهما انطلاق من عالم الضرورة، وكلاهما شوق مجنّح لعالم الكمال؛ وكلاهما ثورة على آلية الحياة...والفن الإسلامي ليس بالضرورة هو الفن الذي يتحدث عن الإسلام! وهو على وجه اليقين ليس الوعظ المباشر والحث على اتباع الفضائل[فقط]، وليس هو كذلك حقائق العقيدة مجردة، مبلورة في صورة فلسفية. إنما هو الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود... هو الفن الذي يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق؛ فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال[1].

آلهة الشعر كانت تقطنه. الأدب ومذاهبه ص١١٠، د/محمد مندور، طبع دار نهضة مصر، سنة ٢٠٠٤م. وراجع :الأدب المقارن صـ٣٧٥ ، د/ محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر بالقاهرة، والنقد العربي الحديث ومذاهبه صـ١٣٤- ١٣٨د/ محمد عبد المنعم خفاجي، ومن صحائف النقد الأدبي الحديث صـ١٧٤د/عبد الوارث عبد المنعم حداد، رحمه الله تعالى.

(١) منهج الفن الإسلامي ص٥ ،٦ .

كما أن قراءة نص العقاد بعمق يدلنا على أن له مفهومًا خاصًّا بالنقد الأدبي إذ حجَّم مفهومه وقصره على تلقين الناس دروسًا في قواعد النقد والإنشاء!!!.

وتظهر خطورة كلام العقاد في تلك النتيجة التي رتَّبها الدكتور محمود حسن زيني، في قوله: " ونحن نؤمن، بل ونعتقد اعتقادًا يقينًا أن رسول الله ﷺ لم يكن ناقدًا أبدًا، ولم يكن شاعرًا كذلك، فحاشا وكلا لرسول الله ﷺ أن يتصف بصفات الشعراء أو الأدباء أو النقاد لا لعيب فيهم جميعًا، وإنما لدفع الظِّنَّة عنه، صلى الله عليه وسلم"[1].

وهذه نتيجة خطيرة؛ إذ ما الظِّنَّة التي ستنال من الرسول ﷺ إذ قيل عنه: إنه كان ناقدًا أدبيًّا، وإنه أُثِرتْ عنه نَقَدات أدبية رائعة، وما زال لها تأثير في حركة الأدب حتى الآن، وفي كل آن؟!! وما المساوئ الموجودة في النقاد، والتي لا يُراد أن يُوصَم بها النبي، صلى الله عليه وسلم ؟!!

ويقدم الدكتور محمود حسن زيني - فيما يزعم - دليلاً آخر على رؤيته، بقوله: " وهذا ما دافع به المأمون(١٧٠ – ٢١٨ هـ) عن رسول الله ﷺ في حديثه مع أبي علي المعروف بأبي علي المنقري[2]، وقد سأله عن ثلاثة عيوب فيه، فقال: بلغني أنك أمي، وأنك لا تقيم الشعر، وأنك تلحن في كلامك!! فقال: يا أمير

(١) من أدب الدعوة الإسلامية صـ١١٣- ١١٤.

(٢) هو زكريا بن يحيى بن خلاد. أبو يعلى المنقري الساجي البصري.حدث ببغداد عن: الأصمعي، والحكم بن مروان الضرير. وهو مكثر عن الأصمعي. و روى عنه: عبيد الله السكري، والقاضي المحاملي، ومحمد بن مخلد، وأحمد بن حمدان التستري، وأحمد بن محمد بن راشد الهروي، وعبيد الله بن عبد الرحمن السكري، وأحمد بن عبد العزيز الجوهري... و جماعة. انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٧٤/٤، و تاريخ الإسلام للذهبي، ترجمة رقم ٢١٥، ٤٩٤/٤. وثقات ابن حبان٢٥٥/٨ ،وراجع uae٢٦@gawab.com

المؤمنين: أما اللحن فربما سبقني لساني بالشيء منه، وأما الأمية وكسْر الشعر، فقد كان النبي ﷺ أميًّا، وكان لا ينشد الشعر!! فرد عليه المأمون بقوله: سألتُك عن ثلاثة عيوب فيك، فزدتني عيبًا رابعًا، وهو الجهل يا جاهل! إن ذلك في النبيﷺ فضيلة، وفيك وفي أمثالك نقيصة. وإنما مُنِع ذلك النبي ﷺ لنفي الظِّنَّة عنه، ولا لعيب في الشعراء والكتَّاب. وقد قال الله – تبارك وتعالى-: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾[1].

وهذا الخبر لا يحمل أية دلالة على ما يريده الباحث، فنفي الشعر والكتابة عن الذات النبوية أمر مقرر قرآنيًّا لا جدال فيه، لكن لا يعنى نفي إدراكه ﷺ لبعض آليات النقد الأدبي، وقدرته على معرفة الجيد من الرديء من الأدب، وتقديمه رؤيةً نقديةً إسلاميةً وسطيةً مرنةً، قابلةً للتجديد والتطور والتحديث. وإلا فكيف نفسر شمولية الرؤية النبوية للدين والدنيا معًا؟!

هذا، ويذهب الدكتور عبد الوارث عبد المنعم حداد[2] مذهب الدكتور محمود حسن زيني، إذ يطرح سؤالاً صريحًا في هذه الإشكالية: "هل كان الرسول صلى الله عليه وسلم ناقدًا ؟!

ويجيب عليه قائلاً: " إن الرسول ﷺ إن كان قد أشار بشيء مما أسلفنا - [من موقف النبي ﷺ من الشعر والشعراء] فلأنه نوع من التوجيه الذي قامت الدعوة عليه. وقد صادف هذا التوجيه قالبًا يتعلق بلغة من لغات الخطاب، وهو الشعر. أما

---

(١) سورة العنكبوت، الآية٤٨. وراجع: العقد الفريد لابن عبد ربه ١/٢٧٥- ٢٧٦. ومن أدب الدعوة الإسلامية صـ١١٤.

(٢) رئيس قسم الأدب والنقد الأسبق بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، فرع المنصورة. وقد توفي سنة ٢٠٠٠م، رحمه الله تعالى.

حقيقة الأمر فالرسول صلى الله عليه وسلم إنما بُعِثَ هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، ولم يشغل نفسه بالنقد، ولم ينصب له قومه قُبَّة يؤمُّها الشعراء كما ضُرِبتْ لحسان بن ثابت [هكذا!!!] وغيره"[1].

وقد سبق تحليل هذا الكلام لوروده سلفًا في رؤية الدكتور "زيني"، ويضيف الدكتور عبد الوارث معللا رؤيته: " ذلك أن الناقد لابد له من أدوات إذا اكتملت فيه رضيه الشعراء حكمًا، من هذه الأدوات: البصر الدقيق باللغة، والذوق الرهيف، والإحاطة بما قال شعراء العصر حتى يستطيع الحكم الصائب الصادق على الشعراء، ويكون بمقدوره الفصل بين أقدارهم اللغوية والشعرية. ولا يتحقق ذلك للناقد إلا إذا شغل نفسه بهذا العمل وما يتصل به، أو شغله العمل حتى يجيد الفصل فيه.. ولم يحدث أن شغل الرسول نفسه بهذا العمل، ولم يحدث أيضًا أن استغرق عليه نقد الشعر وتوجيهه كل الوقت أو بعضه" [2].

وأرى أن في هذا الطرح تعميمًا في العبارة الأخيرة، إذ لا ينكر أحد أن في السنة النبوية نصوصًا نقدية دارت حول الأدب: مدحًا، وقدحًا، توجيهًا وتصويبًا، بغية الوصول إلى الطهارة القولية والكتابية، في كل ما يصدر عن المسلمين عامة، والأدباء المبدعين[شعراء ونُثَّارًا] منهم بخاصة. كما أن في تلك المقولة دليلا مساندًا لَمن يزعم أن النقد احتاج إلى زمن طويل في الإسلام حتى يؤسس على قواعد ثابتة!!![3]، وهذا الزمن-بلا شك – بعد عصر صدر الإسلام: عصر الوحي والخير!!!. وفي هذه المقولة -كذلك- دليل لَمن يزعم أن النقد الأدبي لم يكن

(1) من صحائف النقد الأدبي الحديث صـ٦٥، د/ عبد الوارث عبد المنعم الحداد، طبع سنة ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.

(2) السابق، ذاته.

(3) النقد الأدبي، د/أحمد أمين ص٣٨٥، مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٨٣م.

نشيطًا في هذا العصر، تبعًا لعدم نشاط الإبداع الأدبي، أن أول النقاد في تلك الفترة هو عمر بن الخطاب، رضي الله عنه[1]!!!

إن الرسول ﷺ إنسان عربي، يمتلك طبعًا متمكنًا، وسليقة واعية، جعلته من أفصح العرب في عصره، بل في كل العصور، إذ كيف يُنفى عن فصيح بليغ مثلِه، مثلَ هذه الأدوات؟! تلك الأدوات التي عددها الدكتور عبدالوارث، رحمه الله تعالى، وكأنها شروط صارمة لابد من وجودها في كل ناقد. ومع ذلك فإني أراها موجودة - بدرجة معتدلة تناسب المقام الشريف، وظروف الحياة النبوية الشريفة - في شخصية النبي ﷺ إذ لا يمكن أن ينكر أحد أن النبي ﷺ فُطِر على الفصاحة والبلاغة وجمال اللغة، وقد رُزِق ذلك توفيقًا من الله - تعالى - وتوقيفًا[2]. وليس في هذا الطرْح أية مبالغة؛ يقول الجاحظ(ت٢٥٥هـ): " ولعل مَن لم يتسع في العلم، ولم يعرف مقادير الكلام، يظن أننا تكلفنا له ﷺ من الامتداح والتشريف، ومن التزيين والتجويد، ما ليس عنده، ولا يبلغه قدره. وكلا. والذي حرم التزيد عند العلماء، وقبح التكلف عند الحكماء، وبهرج الكذابين عند الفقهاء- لا يظن هذا إلا مَن ضل سعيه"[3].

كما لا يُستَطاع إنكار أن له ﷺذوقًا مرهفًا ومعرفة بأهم الشعراء حوله من صحابته، ومن أعدائه، وقد ثبت تاريخيًّا أنه ﷺ سمع نصوصًا شعرية عديدة، وسمعها من مطلعها إلى خاتمتها، وكانت له فيها ملاحظات خاصة، وتعليقات إيجابيه بنَّاءة.

---

(١) في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية، د/ محمد طه الحاجري، ص٥٧، طبع دار النهضة العربية ببيروت سنة ١٩٨٢م.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص٢٨٣، للأستاذ مصطفى صادق الرافعي، طبع دار الكتاب العربي ببيروت.د.ت.

(٣) البيان والتبيين ٢/١٨، وراجع إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ص٢٩٤.

يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعي(١٨٨١ - ١٩٣٧ م): "على أنه ﷺ فيما كان وراء عمل الشعر وتعاطيه وإقامة وزنه، يحب هذا الشعر و يستنشده، ويثيب عليه ويمدحه متى كان في حقه ولم يعدل به إلى ضلالة أو معصية. والآثار في هذا المعنى كثيرة لا نطيل باستقصائها، ولولا أن ذلك كان منه صلى الله عليه وسلم لماتت الرواية بعد الإسلام، ولما وجد في الرواة من يجعل وكده حمل الشعر وروايته وتفسيره، واستخراج الشاهد والمثل منه..."(١). وهذا سيتضح بجلاء في بحث تالٍ، بإذن الله تعالى.

* * *

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص٣١٢. وفيه: يجل وكده، وهذا خطأ مطبعي.

المبحث الأول : النقد الأدبي : مصطلحًا ومسيرةً :

إن الإشكالية المثارة في التمهيد تنبئ عن تأثر سلبي بفهم بعض النصوص الدينية فهمًا ظاهريًّا، ينال من دور الشعر وقيمة الشعراء، وبالتالي ينال من كل ما له علاقة بهما، وهو النقد الأدبي، وذلك مزلق خطير يستدعي منَّا تحليلاً مكثفًا لمفهوم مصطلح النقد الأدبي وتاريخه وقيمته تراثيًّا وحداثيًّا.

ففي اللغة نجد استعمالات الجذر اللغوي" ن ق د" دائرة حول معنى كلي رئيس، هو بروز الشيء وإبرازه، والكشف عن حاله من جهة جودته ورداءته. وقد قرره ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) بقوله: "النون والقاف والدال أصل صحيح يدل على إبراز الشيء وبروزه... ومن الباب: نقْدُ الدرهم، وذلك أن يُكشَف عن حاله في جودته أو غير ذلك"(١). ثم تطور المدلول اللغوي من هذه الدلالة الحسية إلى أخرى معنوية لها صلة بالدلالات السابقة(٢). أمَّا ما جاء في حديث أَبي الدرداء -رضي الله عنه-أنه قال: "إنْ نقَدْت الناسَ نَقَدُوك وإن تَركْتَهُمْ تركوك؛ معنى نقدتهم أي عِبتهم واغتَبْتَهم قابلوك بمثله"(٣)، فهو يشير إلى جانب سلبي وحيد في هذا الجذر

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٤٦٧/٥ تحقيق الشيخ عبدالسلام هارون.

(٢) راجع هذا الجذر اللغوي في: كتاب العين للخليل بن أحمد ١١٨/٥، معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤٦٧/٥، وأساس البلاغة للزمخشري، و لسان العرب لابن منظور، ت(٧١١هـ)، والتكملة والذيل والصلة للزبيدي٣٢١/٢، وتاج العروس للزبيدي٥١٦/٢.. وممن تتبع الدلالات اللغوية للجذر (ن ق د)، بإيجاز، من النقاد المحدثين:

- الأستاذ أحمد الشايب في كتابه أصول النقد الأدبي ص ١١٤- ١١٥، طبع مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٧٣م.
- الدكتور عثمان موافي في كتابه "منهج النقد التاريخي"، وفي كتابه "دراسات في النقد الأدبي" ص١١- ٣١، طبع دار الوفاء بالإسكندرية سنة ٢٠٠٣م.

(٣) ورد في النهاية في كشف الخفاء للعجلوني ٢٣٧/٢، رقم ٢٨٥٠، و٢٨٥١، وغريب الحديث والأثر لابن الأثير١٠٣/٥، وفي اللسان٤٢٦/٣.ومن هذا الأثر اشتق: نقد الناس: عابهم واغتابهم.راجع التكملة

اللغوي، حيث العيب والثلم والتجريح. وهذه الدلالة "من قولهم: نقَدْتُ رأسه بإصبعي أي ضربته. ونقَدْت الجَوْزَةَ أنقُدها إذا ضربتها[1]، ونقَدَتْه الحيَّةُ. لدغَتْه"[2].

وهذا الجانب الدلالي السلبي للفظة"النقد" موجود عند طائفة قليلة من النُّقّاد، الذي يتركون الموضوعية في النقد، ويتحولون إلى مقاييس نفسية جامدة، أو معايير شخصية متعصبة، بحيث يقلبون الحق باطلاً، ويزينون الباطل حقًّا!!!ومن ثم استحقوا اللقب القرآني (الغاوون) الوارد في قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾[3]. وجعلت بعض الأدباء يحملون على النقد كفولتير[4]، الذي زعم أن الناقد أديب فاشل[5]!! وكالشاعر الإنجليزي الكبير وليام وردز ورث William

والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة للزبيدي٢/٣٢١. وقد علق عليه ابن الأثير، وتبعه ابن منظور، بقوله: هو من قولهم: نَقَدت الجَوزة أنقدها إذا ضربتها. ويروى بالفاء[نفد] والذال المعجمة[نفز].

(١)ذكر اللغويون أنه: " يروى بالفاء والذال المعجمة، وهو مذكور في موضعه بالمعاجم[نفد، أو نقذ].

(٢) اللسان ٣/٤٢٦- ٤٢٧.

(٣) سورة الشعراء، الآية ٢٢٤.

(٤) فرانسو ماري أرويه(١٦٩٤- ١٧٧٨): فيلسوف وصحفي فرنسي. من أشهر أعماله: كانديد، أوديب، القاموس الفلسفي، مسرحية محمد[ﷺ]. وله سير تاريخية، وتحقيق للأناجيل، ورسائل فلسفية. وفي أعماله تعصب ضد ديننا الحنيف. راجع: موقع[Alimbaratrur.com.] وموقع[Wikpedia.org.] وموقع[Marxists.org.]

(٥) راجع: في النظرية الأدبية والنقدية للدكتور حلمي علي مرزوق ص١٢٣، طبع دار الوفاء بالإسكندرية ٢٠٠٤م، والمقالة الأولى من كتابه: "النقد والدراسة الأدبية". وفي تاريخ الأدب العربي، بلهَ العالمي، ما يدحض مقولة فولتير، فهناك الكثير ممن جمع بين موهبة الإبداع الأدبي وموهبة النقد ببراعة، كالنابغة، وابن المعتز، والمعري، وابن نباتة، والرافعي، العقاد وطه حسين...- على سبيل المثال- في تاريخ أدبنا العربي.

Wordsworth [1] الذي يعد النقد الأدبي باطلا لا غَناء فيه، و يرى أن المقدرة على النقد أحط من المقدرة على الإنشاء، ولو أن النقاد أنفقوا أوقاتهم في كتابة شيء آخر في باب ما ، بدل إضاعته في هذا الباب، لكان ذلك أجدى عليهم، وأعود على أنفسهم بالتهذيب دون أن يقلقوا غيرهم من الكتاب والشعراء!![2]. وهذا كلام شاعر ضاق ذرعًا من هؤلاء النقاد السلبيين، الذين لا يضيفون جديدًا إلى العمل الأدبي، بل قد يضرونه! و لذلك قال هذا الشاعر، عقب كلامه السابق: "على أن النقد محتوم الضرر إذا تناوله غير الأكفاء"[3]. فالنقد ضرورة، لا جدال في ذلك، شريطة أن يلتزم الموضوعية، بالحرص على التقويم، والتعليم والتوجيه، وبالبعد عن التشهير وتكلف المآخذ ونشرها!!

وفي الاصطلاح استخدم مصطلح النقد الأدبي [Literary Criticism] منذ منتصف القرن الثالث الهجري عند العرب، مضافًا إلى الشعر، كما عند قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) وغيره من جهابذة النقد العربي القديم. واستخدم في الغرب منذ القرن السابع عشر الميلادي[4]، دائرًا حول: "دراسة الأشياء ووصفها وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها المشابهة لها أو المقابلة، ثم الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها، يجري هذا في الحسيات والمعنويات، وفي العلوم والفنون وفي كل شيء

---

(١) وليم وردز ورث(١٧٧٠- ١٨٥٠م): شاعر إنجليزي، يعد المؤسس الحقيقي للمدرسة الرومانسية في الشعر. درس في جامعة كمبردج. وفي فكره تأثر بآراء روسو. من أشهر كتبه "سيرة الكنيسة" ومن أهم قصائده "لمحات من الخلود". راجع: موقع[Arabs Line.net/مقال"علماء وأدباء وفنانون عالميون"].

(٢) أصول النقد الأدبي ص١٦٨، د/ أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية ط ١ سنة ٢٠٠٤م، نقلًا عن Mathew Arnold Essays in Criticism First series P.٢

(٣) السابق ذاته.

(٤) التفكير النقدي عند العرب ص٢٢- ٢٣.

متصل بالحياة"(١). وهذا مفهوم عام. أما المفهوم الخاص فهو" تقدير النص الأدبي تقديرًا صحيحًا وبيان قيمته ودرجته الأدبية"(٢). وقد تطور في عصرنا حتى صار - كما يقول هاري شو(٣)- : " تلك العملية التي تزن وتُقيِّم وتحكم، وخلافًا لبعض الآراء: لا يتعامل النقد مع العيوب فحسب، فالنقد الحصيف يحدد خاصيات الجودة وخاصيات الرداءة، الفضائل والنقائص، وهو لا يعني الإطراء أو الازدراء، بل يقابل بين مظاهر الإخفاق ومظاهر التميز، ثم يصدر الحكم المتأني"(٤). ومن عجب أن لفظة Criticismمنحدرة من اللفظة الإغريقية Kritikos التي تعني القاضي(٥)، فالناقد قاضٍ، وفي ذلك تشريف لمهمته، ومزيد تكليف له وإلزام عليه بالدقة والإتقان فيما يصدر عنه من تحليل وتقييم وتقويم.

وقد اتصل النقد بالحياة وبالنص الأدبي اتصالا وثيقًا، بحيث صار فنًّا - أو علمًا- طبيعيًّا في حياة الإنسان، متى أُوتي حظًّا- ولو كان هينًا - من قوى الإدراك والشعور، فذلك يمكّنه من فهم الأدب وتذوقه والحكم عليه أو له. وقد أدرك الناقد العربي المبدع حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ) حتمية وجود النقد مع الإنسان بكل عصر ومصر، في قوله: "ولا شك أن الطباع أحوج إلى التقويم في تصحيح المعاني والعبارات عنها من الألسنة، إلى ذلك في تصحيح مجاري أواخر

---

(١) أصول النقد الأدبي صـ١١٥.

(٢) أصول النقد الأدبي ص١١٦.وراجع النقد الأدبي، د/أحمد أمين ص١٦٥ وما بعدها.

(٣)كاتب أمريكي معاصر، معروف بكتابه"ثلاثون طريقة لتحسن قدراتك".راجع: موقعOrb-I.celebs.com

(٤) التفكير النقدي عند العرب، د/عيسى علي العاكوب صـ٢١- ٢٢، نقلاً عن Dictionary of literary terms.

(٥) السابق ، ذاته، من بحث هاري شو في مادة "نقد" بـ: Dictionary of literary terms.

الكلم ؛ إذ لم تكن العرب تستغني بصحة طباعها وجودة أفكارها عن تسديد طباعها وتقويمها ، باعتبار معاني الكلام بالقوانين المُصحِّحة لها ، وجعْلها ذلك علمًا تتدارسه في أنديتها"[١].

ولم يثبت في مسيرة النقد التاريخية أنه وقع في سُبَّة أو منقصة تهوي به أو تُشوِّهه ، منذ بدايته اليونانية حتى وضعه الراهن ، اشتغل به كثير من الوُجَهاء والفلاسفة والعلماء والحكماء ، وأقبل عليه العامة والخاصة ، بلا استثناء. وكانت لهم مكانتهم السامقة. ويكفي في هذا المقام أن نعرف أن الناقد في الجاهلية" كانت تُضرَب له قُبَّة في سوق عكاظ ، فتأتيه الشعراء فتعرض أشعارها عليه"[٢]. بل كان بلاطُ الأمراء ، في كل أعصار الأدب العربي وأمصاره ،مُنتدًى أدبيًّا ونقديًّا شهد محاورات ومجادلات وموازنات باهرة[٣].

ومَن يتابع النصوص النقدية الدائرة عند العرب قبل الإسلام يجد أن العربي كان يحيا فيما يشبه أن يكون متحفًا لروائع الفن القولي ، وأن الناقد المتخصص كان موجودًا على مستويات مختلفة ، وجد لنفسه سوقًا رائجة ، وأندية متعددة ، لها جمهور متنوع إبداعًا وتذوقًا. ولما ظهر الإسلام نهض الأدب نهضة جديدة أعانتها رؤية نقدية جريئة فيها اتجاه عقيدي أخلاقي مثالي بارز. ثم تطورت هذه الرؤية تطورًا بارزًا في العصور التالية ، جعل للنقد مكانة بارزة عبرت عنها مقولة أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) : "انتقاد الشعر أشد من نظمه ، واختيار الرجل قطعة

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص٢٦ ، تحقيق د/محمد الحبيب بن الخوجة ، طبع دار الغرب الإسلامي ببيروت سنة ١٩٨٦م.

(٢) شرح شواهد المغني للسيوطى ٢٥٥/١.

(٣) راجع الأغانى ٣٧٧/١٥ - ٣٧٨.

من عقله"[1]. وقال قائل لخلف الأحمر(٠٠٠ - نحو ١٨٠ هـ): " إذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه، فما أبالي ما قلته أنت فيه وأصحابك!! قال: إذا أخذت درهمًا فاستحسنته، فقال لك الصيرفي: إنه رديء، فهل ينفعك استحسانك إياه ؟[2] وقد دار بين الخليل بن أحمد(ت١٧٠هـ) وابن مناذر(ت١٩٨هـ)[3] كلام، فقال له الخليل: إنما أنتم معشر الشعراء تبَعٌ لي، وأنا سكان السفينة، إن قرظتُكم ورضيتُ قولَكم نفقتُم، وإلا كسدتُم"[4]. وقالوا: "الناقد بصير"... وغير ذلك من الأخبار والمقولات التي تشير إلى قيمة النقد وسمو مكانة النقاد في كل عصر ومصر؛ فالنقد الأدبي ظاهرة اجتماعية لا غنى عنها مطلقًا، ما دام الإنسان مدنيًّا بالطبع، ينشيء ما ينشيء، ويقصد بهذا الإنشاء إمَّا تعبيرًا عن نفسه، وإمَّا تهذيبًا لغيره، بالإفادة أو التأثير، ثم يعرض آثاره على الناس لتُقرَأ في زمنه أو بعد زمنه، فإذا قرأها الناس أثارت في نفوسهم أفكارًا وملاحظاتٍ، هي مع الأديب أو عليه، أو استدعت آراءً أخرى متصلة بالأدب عن قُرب أو بُعد، ومن حق هؤلاء القُرَّاء أن يعبروا هم – أيضًا– عن مشاعرهم وآرائهم فيما قرؤوا أو سمعوا، ومن حقهم أن يسايروا

(١) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ١/٩٣، والعمدة لابن رشيق ١/١١٧.

(٢) طبقات فحول الشعراء صـ٧. وراجع: الشعر والشعراء ٤٤٦، ٦٩٣.

(٣) هو محمد بن مناذر اليربوعي بالولاء، أبو جعفر(..- ١٩٨ هـ =..- ٨١٣ م): شاعر كثير الاخبار والنوادر. كان من العلماء بالأدب واللغة، تفقه وروى الحديث. وتزندق، فغلب عليه اللهو والمجون.أصله من (عدن) أو من (البصرة) ومنشؤه وشهرته في الثانية. اتصل بالبرامكة ومدحهم، ورآه الرشيد بعد نكبتهم، فأمر به أن يلطم ويسحب.وأخرج من البصرة لهجائه أهلها.وذهب إلى مكة، فتنسك، ثم تهتك. مات فيها.راجع: الشعر والشعراء٣٦٤، والموشح للمرزباني ٢٩٥، وإرشاد الاريب ٧: ١٠٧ – ١١٠، وبغية الوعاة ١٠٧، ولسان الميزان ٥: ٣٩٠، وعصر المأمون ٢: ٤٠٠. والأعلام١١١/٧.

(٤) الأغاني ٨/١٨٤. و كان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) يقيم كبير وزن ويحتفي احتفاءً لَمن يُسَمِّيهم جهابذة الألفاظ ونُقَّاد المعاني.راجع البيان والتبيين ١/٧٥.

الأديب أو يعارضوه، فإذا فعلوا كانوا هم النقاد، وكان كلامهم نقدًا، يفيدهم في شتى جوانب حياتهم الثقافية والاجتماعية، ومن ثم فإن النقد تجربة إنسانية، لها دورها الفاعل إيجابًا أو سلبًا، حسب شخصية موظِّفها.

ويتصل بهذه الإشكالية وجوب الفصل بين أمرين؛ الأول: إنشاء الرسول ﷺ الشعرَ، والثاني: إنشاده وتذوقه، وتبيينَه للجيد والرديء منه؛ لأن عدم الفصل في ذلك الشأن هو الذي تسبَّب في وجود الإشكالية؛ فقد اتفق المفسرون والباحثون قاطبةً على أن الله - تعالى - لم يجعل في طبع النبي ﷺ القدرة على نظم الشعر، وقد فطره على النُّفرة بين ملَكته الكلامية والملَكة الشعرية، أي لم يجعل له ملَكة أصحاب قرض الشعر؛ لأنه أراد أن يقطع من نفوس المكذبين دابر أن يكون النبي ﷺ شاعرًا، وأن يكون قرآنه شعرًا؛ ليتضح بهتانهم عند من له أدنى مُسكة من تمييز الكلام. وليس المراد نفي إنشاء الشعر عنه؛ لأن إنشاء الشعر غير تعلُّمه، فكم من راوية للأشعار ومن نقَّاد للشعر لا يستطيع قول الشعر. وكذلك كان النبي ﷺ قد انتقد الشعر ونبَّه على بعض مزايا فيه، وفضل بعض الشعراء على بعض، وهو مع ذلك لا يقرض الشعر(١).

لقد حسم القرآن الكريم صلة النبي الخاتم ﷺ بالشعر إنشاءً وإنشادً وتذوقًا وتوجيهًا، فنفى الإنشاء للشعر والإبداع له عن الرسول ﷺ نفيًا قاطعًا، وتنزيهًا

(١) راجع تفسير الآية التاسعة والستين من سورة يس، في تفسير القرآن العظيم لابن كثير(ت٧٧٤هـ)٣/١٥٦٤ وما بعدها، طبع دار الفكر العربي ببيروت سنة ٢٠٠٤م. وفي ظلال القرآن ٥/٢٩٧٤- ٢٩٧٥، للأستاذ سيد قطب، طبع دار الشروق سنة ١٩٩٦م. وتفسير التحرير والتنوير للشيخ الطاهر ابن عاشور، طبع دار سحنون بتونس سنة ١٩٩٧م. وراجع: القول المبين في تفسير سورة يسين للدكتور حسن عبيدو ص١٩٨- ٢٠٨، طبع مركز الكتاب العلمي سنة ١٩٩٣م.

لشخصه العظيم، وتنزيهًا للقرآن الكريم، وحفظًا له من الظنون المشوِّهة والشكوك المشوِّشة. وينبغي ألا يُفهَم هذا النفي فهمًا خاطئًا، ويؤدي إلى نتائج منافية للفهم الصحيح، أو مُجافية للحقيقة الجلية[1]. ولا ينبغي أن يقودنا هذا إلى تبني رأي بعض الباحثين بأن ثمَّة قطيعة كاملة بين الرسول ﷺ والشعر، وأنه ﷺ يبغضه بغض الكاره المُجافي، وأنه لا يستسيغه أو لا يُقبل على سماعه حين ينشد أمامه؛ إذ إن واقع الأمر، الذي تُثبته الأخبار والروايات، ينافي ذلك تمامًا.

والأمر الطبعي الذي يتفق مع سجية العربي وجبلَّته أن يتذوق الشعر تذوقًا يمتِّعه، ويُعجب بفنيته إعجابًا يبلغ فيه أعماق النفس، ويعبر عن هذا الإعجاب تعبيرات تتنوع إيجازًا وإطنابًا، إجمالاً و تفصيلاً، كليةً وجزئيةً، ذاتيةً وموضوعيةً، حسب طبيعة كلِّ شخص، وظروف كل عصر ثقافيًّا ولغويًّا وأدبيًّا. يقول ابن رشيق(ت٤٥٦هـ): " سمعت بعض الحُذَّاق يقول: ليس للجود في الشعر صفة، إنما هو شيء يقع في النفس عند المميِّز كالفرند في السيف والمَلاحة في الوجه"[2]، ولا يُشترَط في النفس الممارِسة للنقد الأدبي أن تكون شاعرة أو متعلمة الشعر، فتاريخ النقد الأدبي يدلنا على أن كثيرًا من النقاد كانوا غير شعراء، وأن كثيرًا من الشعراء كانوا غير نقاد. و هذه الحقيقة مقررة في النقد منذ بدايته اليونانية؛ إذ ذهبوا إلى أن القدرة على تأليف الشعر ليست هي ذاتها القدرة على إعطاء تعليل عقلي له[3]. وقد سجل تلك الرؤية النقد العربي في قول ابن رشيق: " وقد يميز

---

(١) شعر السيرة النبوية صـ٣٥ وما بعدها، د/ شوقي رياض، طبع دار المأمون بالقاهرة سنة ١٩٨٧م.

(٢) العمدة ١/ ١١٧.

(٣) رجع قضايا نقد الشعر في التراث العربي صـ١٧، دَ/ محمد العزب نقلا عن النقد الأدبي لويمزات وبروكس ١٢/١.

الشعر من لا يقوله كالبزاز يميز من الثياب ما لم ينسجه، والصيرفي يخبر من الدنانير ما لم يسكه ولا ضربه، حتى إنه ليعرف مقدار ما فيه من الغش وغيره فينقص قيمته"(١).

وقد تطور الأمر فصار الفصل بين الناقد والأديب أمرًا يكاد يفرض نفسه على واقع الحياة النقدية، بل أوجبه بعض النقاد من أمثال شابيرو(٢)، حيث قال: " إن الشاعر والناقد يجب أن يفترقا"(٣) ورأى الناقد الأمريكي " ألن تيت"(٤) أن اتحاد الناقد والشاعر هو في الأغلب اتحاد قلق، وكذلك شأن الأستاذ العقاد، الذي لم يطالب النقاد بأن يتحولوا إلى شعراء يعانون تجارب الشعر حتى تتولد لديهم عواطف الشعراء وانفعالاتهم؛ لأن ذلك أمر فوق التصور، كل ما طلبه العقاد أن يضع الناقد نفسه موضع المؤلِّف، وأن يحاول فهم عباراته، وأن تكون لديه ثقافة عامة ليس لها لون أو اتجاه معين(٥).إذن فكل منهما له ومَلَكته: الشاعر له موهبة الشعر وإلهامه، والناقد له صفة الفهم والبحث العقلي في عمل الأديب(٦).وذلك

---

(١) العمدة ١/ ٧٥. وراجع: في النقد الأدبي، د/سعد ظلام ص٣٦، مطبعة السعادة بالقاهرةسنة١٩٧٥م.

(٢) هو جيمس شابيرو، ولد في بروكلين. أستاذ لغة إنكليزية في جامعة كولومبيا. حاضر عن شكسبير في دول عديدة. وهو مؤلف مسرحي. من مؤلفاته المسرحية: شكسبير واليهود. وقد فاز كتابه" عام ١٥٩٥م من حياة ويليام شكسير" بجائزة صموئيل جونسون في ١٧/٦/٢٠٠٦م.

راجع: موقع[.Kwtanweer.com] وموقع[.Syriostar.com] وموقع[.allpurri.arog].

(٣)معالم النقد الأدبي ج١ صـ٩١، د/ عبد الرحمن عثمان، ومن صحائف النقد الأدبي الحديث صـ٣٩.

(٤) شاعر وروائي وناقد أمريكي معاصر. له كتاب بعنوان: " العقل في جنون"، وله مقالات مختارة جمعت في كتاب بعنوان " ضمان الجودة في التعليم عن بعد"، ودراسات في النقد. راجع: موقع[.Azaheer.org].

(٥) من صحائف النقد الأدبي الحديث ص٤٠.

(٦) في النقد الأدبي للدكتور سعد ظلام ص٣٧. وراجع الخصائص لابن جني ٢/ ٢٩٣، ومعالم النقد للدكتور عبدالرحمن عثمان ١/ ٨٨- ٨٩.

الفصل بين الناقد والأديب يؤيد ما يذهب إليه البحث من أن نفي إبداع الشعر عن الذات النبوية لا يعني نفي إدراكها للنقد الأدبي وقدرتها عليه، ولم ينفِ امتلاكها لوسائله؛ فالرسول ﷺ كان من أفصح العرب، وقد جمعت له أسباب البلاغة وأُوتي من البيان منزلة رفيعة فكلامه يأتي بالمنزلة التالية لكلام الله ـ عز وجل ـ وبذلك تضافرت لديه مقومات الذوق الرفيع، الذي يميز به جيد الكلام من رديئه، ويستشعر به جميل القول من قبيحه، والشعر من فنون القول التي استوعبت الكثير من آيات الإبداع الشعري، بل هو عند العرب الفن الرئيس الذي صبوا فيه كل طاقات فصاحتهم وبلاغتهم وإبداعهم، فليس غريبًا - إذن- أن يكون له في نفس النبي ﷺ موقع إعجاب وتأثير[(١)]. و يقرر هذه الحقيقة الجليلة الخليل بن أحمد(ت١٧٠هـ) بقوله: "كان الشعر أحب إلى رسول الله من كثير من الكلام، ولكنه لا يتأتَّى له"[(٢)].

وتتوارد كثير من الروايات والأخبار والآثار التي تُبيِّن تلك العلاقة الوطيدة بين الرسول ﷺ والشعر حبًّا للحسن منه، وتقديرًا له، وإقبالاً على سماعه، وتبصرًا بالجيِّد منه وإعلانًا عمًّا فيه من قيم سامية، ورفضًا للقبيح منه، الذي فيه نزعات جاهلية مرفوضة، وتعبيرات شيطانية محاربة وغير مقبولة في المجتمع المسلم الجديد الواعد، وكذلك كان شأنه ﷺ مع بعض النصوص النثرية.

وهذا مما يدفع أي باحث عقلاني موضوعي متجرد، إلى إطلاقه هذا المصطلح"النقد الأدبي النبوي"، ولا أبالغ فأقول قول بعض الباحثين: إن النبي ﷺ ناقد من الطراز الأعلى[(٣)]، تفرغ تفرغًا تامًّا للأدب والأدباء، أو أن نقَداته

---

(١) شعر السيرة النبوية ص٤٥، ٤٦.

(٢) تفسير القرطبي ١٥/٥٢.

(٣) الدكتور زكي المحاسني في كتابه: الأدب الديني ص٥٣ نقلا عن كتاب: من أدب الدعوة الإسلامية.

تشريعات نقدية[1]، مُلزمة إلزامًا جامدًا، بحيث لا يجوز مناقشتها والابتداع فيها والتطوير!!! بل أقول: إنها نقَدات جزئية موضعية، مجالها مضمون النص في المقام الأول، و عمادها الذوق، وهي أقرب إلى الحس الأخلاقي منها إلى الحس الفني المجرد، ومن ثَمَّ جاءت مُناسبة لعصرها، وملائمة لشخصية النبي ﷺ وهذا طَبعي من قائد دعوة في بواكيرها الأولى؛ فلا إذن حرج من إطلاق مصطلح "النقد الأدبي النبوي"- بمفهومه التراثي الواسع الفضفاض، لا الحداثي المتخصص الذي أصابته لُوثة النقل من الآخر والفوضى في الاصطلاحات والتطبيقات - على التعليقات النبوية الشريفة الصحيحة على الأدب والأدباء كغيره من المصطلحات السيارة في ميادين الثقافة مثل: "السيرة النبوية"، و" البيان النبوي" و"الطب النبوي" و"الفقه النبوي".... وغير ذلك من الإطلاقات السيارة في الساحة الثقافية الإسلامية بين جِلَّة من مخلصي علماء الأمة وباحثيها حديثًا ومعاصرًا.

* * *

(١) الدكتور أحمد محمد العزب في كتابه: قضايا نقد الشعر ١/ ٤٧. والدكتور إسماعيل الصيفي في كتابه: بيئات نقد الشعر عند العرب من الجاهلية إلى العصر الحديث، طبع دار المعرفة سنة ١٩٩٠م.

المبحث الثاني: تثمين النثر وتأسيسه إبداعيًّا في المأثور النبوي :

توطئة :

من الملاحظات البارزة عن النقد العربي التراثي، أنه يدور في أغلب الأحايين حول الشعر والشعراء فقط، أما النثر والنُّثَّار، فيُشار إليهما إشارات خاطفة غير مجدية."فلم يحظَ النثر بالنقد مثلما حظي الشعر، ولم يُعرَف عن النقاد في الأسواق أنهم قد اهتموا بتوجيه أحكامهم النقدية للنثر"[(1)]. ولا أدل على ذلك من أننا لا نجد تحديدًا علميًّا لمصطلح النثر في التراث. يقول الدكتور فتحي علي عبده[(2)]: " برغم عناية العرب بوضع مفاهيم محددة للشعر، إلا أنهم لم يضعوا مفهومًا مستقلاً للنثر الفني. ولا يعني هذا بطبيعة الحال أنهم أنه لم يكن لديهم مفهوم له، وإنما غاية الأمر أنه لم يأتِ عنهم بطريقة مباشرة مفهوم للنثر الفني كما أتى مفهومهم للشعر.

وللوقوف على مفهومهم للنثر[(3)] الفني فإنه يتعين علينا أن نستنتجه من خلال حديثهم عن الشعر. فلقد قسموا الكلام إلى قسمين: المنظوم والمنثور، متخذين من الوزن فارقًا مميزًا بينهما، كما نصوا في تعريفاتهم للشعر على هذا الفارق[(4)]. فالمبرد(ت٢٨٥هـ) يرى أن الوزن هو المميز للكلام المنظوم إذا تساوى مع الكلام المنثور في البلاغة[(5)]، ويقول ابن وهب(ت بعد ٣٣٥هـ) بعد أن قسم العبارة إلى منظوم ومنثور: " والشعر محصور بالوزن، محصور بالقافية، ... والنثر مطلق غير

---

(١) بدايات في النقد الأدبي، د/هاشم صالح مناع، ص٧٨- ٨٠، طبع دار الفكر العربي في بيروت سنة ١٩٩٤م.

(٢) أستاذ الأدب العربي القديم ونقده بكلية الآداب، جامعة المنوفية.

(٣) قال ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة٥/٣٨٩ :"النون والثاء والراء أصل صحيح يدل على إلقاء شيء متفرق".

(٤) نقد النثر في التراث النقدي والبلاغي ص١٩، طبع مكتبة الآداب بالقاهرة سنة ١٩٩٨م.

(٥) البلاغة للمبرد، ص٨١، تحقيق د/رمضان عبدالتواب، نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة سنة ١٩٨٥م، ونقد النثر في التراث النقدي والبلاغي ص٢١ .

محصور"[1]. كما يرى أبوسليمان المنطقي(ت نحو ٣٨٠هـ) أن النظم أدل على الطبيعة[النفس أو الحس أو العاطفة] لأن النظم من حيز التركيب، والنثر أدل على العقل؛ لأن النثر من حيز البساطة، ... ولذلك يؤثر فينا الشعر لأنه معشوق للطبيعة والحس..."[2]. وينبغي ألا يؤخذ هذا الكلام على إطلاقه، بل على الغالب الأعم، إذ يمكن للنثر أن يمتح من معين الطبيعة والعاطفة، فيما يسمى النثر الوجداني. وللشعر أن يمتح من معين العقل، فيما يسمى الشعر الفلسفي العقلي، الشائع عند العلماء خاصة. ولكل شواهده في تراثنا العربي.

وبناءً على تلك النصوص النقدية التراثية يمكننا أن نستنتج أن النثر عامة هو"الكلام الذي يصور العقل والشعور، ولا يتقيد بوزن ولا قافية"[3]. أما النثر الفني فهو: "كلام فني[به جماليات تعبيرية] كالشعر إلا أنه يخلو من الوزن أو البحر الشعري، وإن لم يخلُ تمامًا من نوع خاص به من الوزن والقافية"[4].

هذا، ولعلَّ أعظم تأثير أحدثه الإسلام في الأدب، تمثَّل في عنايته الكبيرة بالنثر؛ عناية فاقت عنايته بالشعر، وكان تأثير الإسلام في النثر أعمق. وهذا أمرٌ بدهي، إذ كان النثر أداة الدعوة الأولى، وأداة الإسلام الأولى للتعليم وتوجيه شؤون

---

(١) البرهان في وجوه البيان ص١٢٧، تحقيق د/ حفني شرف، نشر مكتبة الشباب بالقاهرة ١٩٦٩م.، والسابق ص٢٢.

(٢) راجع: المقابسات لأبي حيان التوحيدي ص ٢٤٥، تحقيق حسن السندوبي، نشر المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ١٩٢٩م. ونقد النثر في التراث النقدي والبلاغي ص٢٥. وللمحدثين تعريفات كثيرة للنثر. راجع: في الأدب الجاهلي، د/طه حسين ص٣٢٦، والفن ومذاهبه في النثر العربي، د/شوقي ضيف ص١٥، ونشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، د/حسين نصار ص٣، طبع دار النهضة المصرية سنة ١٩٥٤م...إلخ

(٣) أصول النقد الأدبي ص٣٢٨.

(٤) نقد النثر في التراث النقدي والبلاغي ص١٩.وفي المعجم الوسيط[٢/٩٠١]: النثر هو الكلام الجيد، يُرسَل بلا وزن ولا قافية. وهو خلاف النظم.

الجماعة الإسلامية، حين صار للعرب دولة منظمة مهيبة الجانب، ثم أصبح النثر فيما بعد أداة الإسلام في التأليف والتدوين العلمي، وفي نشأة شتى العلوم الإسلامية، والعلوم العربية المساندة لها، وعرف تاريخ الفكر الإنساني تراثًا معرفيًّا عظيمًا للمسلمين.

وجد النثر بقوة في عصر صدر الإسلام، لينظم الحياة العربية ويؤسس للّحظات الإسلامية الفارقة في حياة المسلمين إلى الآن، عن طريق نص نثري إلهي حكيم خاتم، يعد أعظم وأشمل نص عُرف في التاريخ، نص شهد له الجميع بالإعجاز بلاغيًّا وعلميًّا، وهو قرآننا الكريم. وعن طريق نصوص النثر الكثيرة الموجودة في المأثور النبوي، والتراث الصَّحابي من فنون شفاهية وكتابية: كالخطابة، والرسائل، والوصايا، والعهود، والعقود، والمحاورات....

تثمين دور النثر:

الكلمة في المنظور النبوي مِلاك أمر الإنسان، "فمتى مَلَك العبدُ لسانَه ملَك جميعَ أعضائه، و متى ملَكَه لسانُه، فلم يصُنْه عن الكلام الضار، فإن أمره يختلُّ في دينه ودنياه"[(١)]؛ ولذا كان الحسم النبوي في هذا الصدد: ".. مَن كان يؤمن بالله واليوم والآخر فليقلْ خيرًا أو ليصمُتْ"[(٢)].

وكان اهتمامه ﷺ بتوجيه اللسان الوجهة الصحيحة وبيان خطورة دوره في

(١) راجع: بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار للشيخ/ عبد الرحمن السعدي (ت١٣٧٦هـ) ص١٥١، طبع وزارة الشؤون الإسلامية بالسعودية سنة ١٤٢٣هـ. و راجع نصوصًا كثيرة في تقرير ذلك بالأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار للإمام النووي(ت٦٧٦هـ) - رضي الله عنه - ص٢٩٧- ٢٩٨، طبع دار القلم بيروت لبنان سنة ١٩٥٥م وغيرهما من المظان.

(٢) رُوي عن أبي هريرة- رضي الله عنه - في صحيحي الشيخين: البخاري ومسلم- رضي الله عنهما - . الأذكار للإمام النووي- رضي الله عنه- ص٣٦٥.

قولـه: "وهـل يكـب النـاس في النـار علـى وجـوههم إلا حـصائد ألـسنتهم"[1]، وقوله: "إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، تقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا"[2].

إن اللـسان أداة الكـلام، وبـالكلام - وأفعـال الجـوارح - يكـون الحكـم للإنسان أو عليه؛ ومن ثم كانت الدعوة النبوية إلى جعل الكلام في إطار الخيرية، والطِّيب، و الحُسْن، والمنفعة، والحق. وتلك شرائط تتعلق بالمضمون الأدبي؛ فقد أجاب النبي صلى الله عليه وسلم من سأله: أخبرني: بأي شيء يوجب لي الجنة؟ قال: عليك بحسن الكلام...."[3]، ولما سُئِل: ما الفأل؟ قال ﷺ: "كلمة صالحة يسمعها أحدكم"[4].

وقد قرر الحديث النبوي الحث على الكلم الطيب الوارد بالقرآن الكريم[5]، بقوله: "الكلمة الطيبة صدقة"[6]، وبقوله: " اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمَن لم يجد

(١)حديث حسن صحيح ورد في سنن الترمذي، وفي الأذكار ص٣٦٦.

(٢) رواه الترمذي رقم ١٥٢٩، راجع: رياض الصالحين ص٥٢١- ٥٢٢، حديث رقم ١٥٢٩، تخريج الشيخ الألباني، طبع المكتب الإسلامي سنة ١٩٩٢م. والأذكار للإمام النووي ص٢٩٦. معنى تكفر اللسان أي: تذل وتخضع له.

(٣) أخرجه الطبراني وابن حيان في صحيحه. راجع الأدب المفرد ص٥٧٦ رقم ٨١١.

(٤) وفي رواية: "ويعجبني الفأل الصالح: الكلمة الحسنة". وهو حديث صحيح أخرجه أحمد وابن حبان والطحاوي وابن خزيمة وأبو عوانة. راجع الأدب المفرد ص٦٣٧، ص٦٤٢ رقم ٩١٠، ٩١٣. ومختصر صحيح مسلم للحافظ زكي الديني عبدالعظيم المنذري الدمشقي(ت٦٥٦هـ) ص٣٩٢، حديث رقم ١٤٩١، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي سنة ٢٠٠٠م.

(٥)في قوله تعالى: "إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه". سورة فاطر، الآية ١٠. وفي قوله تعالى: "وهدوا إلى الطيب من القول، وهدوا إلى صراط الحميد". سورة الحج، الآية٢٤.

(٦) رُوي عن أبي هريرة، في صحيحي الشيخين: البخاري ومسلم- رضي الله عنهما - . الأذكار للإمام النووي ص٢٨٨.

فبكلمة طيبة"[1] ؛ فقد فُطِر الناس على محبة الكلمة الطيبة والأُنس بها ، وقد تذوقها النبي ﷺ فقد رُويَ أن أعرابيًّا أتاه ، فتكلم بكلام بَيِّن ، فقال النبي ﷺ : "إن من البيان سحرًا"[2].

وقد حفظ النبي صلى الله عليه وسلم بعضًا من الكلام النثري البديع ، ورَدده في مجالسه الشريفة ، وأثنى على قائله ، ودليل ذلك الخبر المروي – إن صح –عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : "لما قدم وفد عبد القيس على رسول الله ، قال لهم : أفيكم من يعرف قس بن ساعدة الإيادي[3] ؟ قالوا : كلنا نعرفه يا رسول الله. قال : فما فعل؟ قالوا : هلك. قال : لست أنساه بسوق عكاظ في الشهر الحرام ، واقف على جمل أحمر ، وهو ينادي ويقول : أيها الناس اجتمعوا واستمعوا..." وقدَّر صلى الله عليه وسلم هذه الخطبة بالدعاء لمبدعها قائلا : "يرحم الله قُسًّا ، أما إنه سيُبعَث يوم لقيامة أمةً وحدَه"[4]. وقد نال قس برواية الرسول

(١) رُوي عن عدي بن حاتم- رضي الله عنه - في صحيحي الشيخين : البخاري ومسلم- رضي الله عنهما – راجع مختصر صحيح مسلم ص١٤٦ ، والأذكار للإمام النووي ص٢٨٨.

(٢) حديث صحيح أخرجه الأربعة ، سوى النسائي وابن حبان و أحمد و الطحاوي في الكراهية ، صحيح البخاري ١٠/٢٣٧ ، رقم ٥٧٦٧ ، وأبو داود ٤/٣٠٣ ، رقم ٥٠١٢ ، وعون الباري ٦/٩٦ ، راجع الأدب المفرد ص٦١١ ، رقم ٨٧٢ .

(٣) هو قس بن ساعدة (٠٠٠ - نحو ٢٣ ق هـ = ٠٠٠ - نحو ٦٠٠ م) ، من بني إياد : أحد حكماء العرب ، ومن كبار خطبائهم ، في الجاهلية...وهو معدود في المعمرين ، طالت حياته وأدركه النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ، ورآه في عكاظ ، وسئل عنه بعد ذلك ، فقال : يحشر أمة وحده.راجع ترجمته في الأغاني١٥/١٩٢ ، وإعجاز القرآن ص١٦٩ ، وجمهرة أنساب العرب ص٣٢٨ ، ومجمع الأمثال ١/١١١ ، وخزانة الأدب٢/٩١ ، والأعلام٥/١٦٩.

(٤)جاء في كتاب سبل الهدي والرشاد لمحمد بن يوسف الصالحي(ت٩٤٢هـ) : " قال البيهقي بعد أن أورد بعض روايات الحديث : إذا ورد الحديث من أوجه وإن كان بعضها ضعيفًا دل على أن للحديث أصلًا.وقال الحافظ عماد الدين بن كثير : هذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على إثبات أصل القصة. وقال الحافظ في

الكريم ﷺ لخطبته- إن صحت الرواية- تكريمًا لم ينله بشر آخر من أعلام الأدباء في التاريخ ؛ لذكره فكرة التوحيد ومظاهر اليوم الآخر ، وفي وقت لم يكن من الحنفاء ، وهم قلة... مَن كان على شاكلة قُس في إيمانه المُعلَن وتوحيده الصريح[1]. قال الجاحظ : "لإياد.. في الخطب خصلة ليست لأحد من العرب ؛ لأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الذي روى كلام قس بن ساعدة وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته ، وهو الذي رواه لقريش والعرب ، وهو الذي عجَّب من حسنه وأظهر من تصويبه. وهذا إسناد تعجز عنه الأماني وتنقطع دونه الآمال. وإنما وفق الله ذلك الكلام لقس بن ساعدة لاحتجاجه للتوحيد ولإظهاره معنى الإخلاص وإيمانه بالبعث. ولذلك كان خطيب العرب قاطبة[2].

الإصابة : طرقه كلها ضعيفة. وقال الشيخ - رحمه الله تعالى - في تهذيب موضوعات ابن الجوزي : أمثل طرقه الأول ، فإن ابن أخي : الزهري ومن فوقه من رجال البخاري ومسلم ، وعلي بن محمد المدائني ثقة. وأحمد بن عبيد قال ابن عدي : صدوق له مناكير.قلت : وقال الذهبي : صويلح.قال الحافظ : لين الحديث.انتهى. قال الشيخ رحمه الله تعالى : فإذا ضم طريق خلف بن أعين إليه حكم بحسنه بلا توقف.انتهى. إذا علمت ذلك فالحديث ضعيف لا موضوع ، خلافًا لابن الجوزي ومن تبعه. راجع سبل الهدي والرشاد٢/١٨٧ ، طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة. وراجع دلائل النبوة للبيهقي ١٠٢/٢. والسيرة النبوية لابن كثير١/١٥٢ ، ". والبداية والنهاية٢/٢٥٧- ٢٥٨. وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس ١/١٠٠. راجع في ذلك : البيان المحمدي للدكتور مصطفى الشكعة ص٥٧٩ وما بعدها.والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، د/مهدي رزق الله أحمد ص٧٦- ٧٧ ، طبع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات بالرياض سنة ١٩٩٢م. وانظر تحقيق مخطوطة خاصة بهذا الحديث ، احتوت ثلاث روايات لهذا الحديث : رواية الشعبي عن ابن عباس ، ورواية أبي صالح عن ابن عباس ، ورواية الحسن البصري عن الجارود ، في العدد الثاني من مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي ، للدكتور هاشم مناع ص١٩٩- ٢٣٤.

(١) البيان النبوي ص٥٨٦.

(٢) البيان والتبيين ج : ١ ص : ٤٢ ـ٤٣.

وهكذا ثمّن الرسول ﷺ دور الكلمة، وتغيا التوظيف الحسن الصالح لها، بتوجيهها نحو الطريق المستقيم، وإبعادها عن كل ما يقبُح أو يُشين، منطلقًا من المنظور القرآني المُجمَل في غير آية، الداعي إلى رفع شأن الكلمة الطيبة، ومحاربة الكلمة الخبيثة، من كذب، أو غِيبة، أو نميمة، أو سب، أو طعن، أو لعن، ومن كل ما من شأنه أن يؤذي الإنسان؛ إذ"لا ضرر ولا ضرار"(١) في الإسلام، وتلك رؤية نقدية خاصة بمضمون النثر و أفكاره.

التأسيس المعايير النقد النبوي للنثر:

من المقرر قرآنيًا(٢) أن الرسول ﷺ قدوة حسنة في كل مجال من مجالات الحياة، ومنها مجال الكلام، فقد كان"أبلغ العرب تنثال المعاني الرفيعة من فمه الكريم، انثيالَ السيل، ولا يدانيه في ذلك قائل، ولا يباريه خطيب، وهو هكذا في كل حالاته، سواء أقال كلامًا مرسلاً، أم اعتلى منبرًا للخطابة، أم حاور مُحدِّثيه، أم أملى مستكتبيه"(٣).

قال العربي لمّا سمع حديثه النثري: " لقد سمعتُ قول الكهَنة، وقول السحَرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء. ولقد بلغن ناعوس[قاموس] البحر..."(٤). وقد شهد الرسول ﷺ لنفسه عندما سأله سيدنا أبوبكر – أو علي بن

(١) ورد في موطأ الإمام مالك مرسلاً، وفي سنن الدار قطني وغيره من طريق متصل، و هوحديث حسن. راجع الأذكار للإمام النووي ص٣٦٤.

(٢) في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ . [الآية الحادية والعشرون من سورة الأحزاب]

(٣) البيان المحمدي، د/ مصطفي الشكعة ص٢٦٣.

(٤) العربي هو ضماد: رجل من أزد شنوءة، كان معروفًا برقيه من الجنون، فسمع أهل مكة يقولون: إن محمدًا مجنون، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يديَّ، فلقيه فسمع كلامه فقال مقالته

أبي طالب في رواية، رضي الله عنهما- قال: يا رسول الله لقد طُفْتُ في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك! فمن أدبك؟ قال: أدبني ربي، ونشأت في بني سعد"، وفي رواية: : " أدبني ربي فأحسن تأديبي"[(1)] . وقد عدَّد الجاحظ (ت٢٥٥هـ) الخصائص الفنية البارزة في النثر النبوي مُقرِّرًا أنه الكلام الذي: "قل عدد حروفه وكثُرت معانيه، وجلَّ عن الصنعة، ونُزِّه عن التكلُّف... جانَب أصحاب التقعيب، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السُّوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وشُيِّد بالتأييد ويُسِّر بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبةَ وغشَّاه بالقَبول، وجمع بين المهابة والحلاوة، وبين حُسن الإفهام وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلَّت له قدم، ولا بارت له حُجة، ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب، ... ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعمَّ نفعًا، ولا أقصر لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا،

هذه. راجع صحيح مسلم ١٢/٣، حديث رقم ٤- ٩، ومختصر صحيح مسلم للحافظ زكي الديني عبدالعظيم المنذري الدمشقي(ت٦٥٦هـ) ص١١٢.

(١) قال الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١ / ١٧٢) : ضعيف .قال ابن تيمية في " مجموعة الرسائل الكبرى " (٢ / ٣٣٦) : معناه صحيح ، و لكنلا يعرف له إسناد ثابت ، و أيده السخاوي و السيوطي فراجع " كشف الخفاء " (١ /٧٠) . و قال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي : "هذا الحديث مروي بطرق مختلفة كلها تدور على السدي عن ابن عمارة الجواني عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وصححه أبوالفضل بن ناصر ، وقال عنه ابن حجر: غريب. وقال عنه السخاوي: سنده ضعيف ولكن معناه صحيح. انظر المقاصد الحسنة للسخاوي ص٢٩، وفيض القدير على الجامع الصغير ٣٢٥/١. راجع: من روائع القرآن ص١٩، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ٢٠٠٣م.

ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح من معناه، ولا أبين في فحواه، من كلامه صلى الله عليه وسلم..."[1].

بل إن أسلوبه عصري، يستطيع المعاصرون أن يقتدوا به في زماننا هذا – كما يقرر العقاد- "لأن الأسلوب الذي يخرج من الفطرة المستقيمة هو أسلوب عصري في جميع العصور"[2]. إنه كلام حقق المعادلة الإبداعية السامية، حيث الجمع بين المتعة الفنية، والمنفعة الفكرية، ومن ثمَّ التأثير في المتلقي: قارئًا ومستمعًا عن طريق آليات الشكل ومُعطيات النص النثري معًا.

وهذا النموذج المثالي في النثر كان له أثره النقدي فيمَن حوله وفيمَن أتى بعده، إذ انفعل الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين- ببلاغته فوصفوها وصفًا دقيقًا في جملة آثار جليلة تُبيِّن خصائص هذا النثر السامي.

فهذه السيدة عائشة - رضي الله عنها- تقول عن كلامه - ﷺ- :"كان كلامه فصلاً يفهمه كل مَن يسمعه". وفي رواية:"ما كان يسرد كسردك هذا ولكن كان يتكلم بكلام بيِّن فصل، يحفظه كل مَن جلس إليه". وفي رواية:"كان يحدثنا حديثًا لوعده العادُّ لأحصاه، وقالت: إنه لم يكن يسرد كسردكم"[3].

---

(١) البيان والتبيين ٢/١٧- ١٨، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية للأستاذ الرافعي ص٢٨٢- ٢٨٣.

(٢) عبقرية محمد ﷺ ص١١٥.

(٣) راجع صحيح البخاري، كتاب المناقب ٦/٥٦٣، رقم ٣٥٦٨، وصحيح مسلم، كتاب الزهد ٤/٢٢٩٨، وكتاب الفضائل ٤/١٩٤٠، رقم ٢٤٩٣، وأبو داوود في كتاب الأدب ٤/٢٦١، رقم ٤٨٣٩، وأحمد ٦/١٣٨.والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار للإمام النووي(ت٦٧٦هـ) - رضي الله عنه - ص٢٨٩، طبع دار القلم بيروت لبنان سنة ١٩٥٥م. وراجع تخريج الشيخ الألباني في رياض الصالحين للإمام النووي ص٣٠٠، رقم ٧٠٢، وحاشية الدكتور باسم فيصل الجوابرة في تخريجه كتاب أصول الإيمان ص١٦٩، طبع وزارة الشئون الإسلامية بالسعودية سنة ١٤٢٤هـ.

وواضح من هذا الأثر مدى الحرص النبوي على الإفهام والتأني في النطق والإيجاز في التعبير، إذ كان"يبذ الخُطَب الطّوال بالكلام القصير، ولا يحتج إلا بالصدق، ... لا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر..."(١).

وظاهر من عبارات: "يفهمه كل من يسمعه، يحفظه من جلس إليه، لأحصاه" قيمة رعاية مقام المتلقي، والاهتمام بتفاعله مع النص؛ ولذا رُوي عن الرسول ﷺ قوله: "ويل لأقماع القول"(٢). وهم الذين يستمعون القول ولا يعملون به، يريد أن الوعظ يدخل آذانهم ويخرج عنها، كالقِمْع الذي لا يستقر ما صُبَّ فيه، إنما هو أبدًا يجوزه إلى غيره(٣).

ومن حرصه ﷺ على الإبلاغ و الإفهام استعانته بأسلوب التكرار، يقول أنس- رضي الله عنه-: "كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا، حتى تُفهَم عنه"(٤). والتكرار نوع من الإطناب له مقامه. والحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه. وصدق مَن قال: "البلاغة الإيجاز في غير عجز، والإطناب في

(١) من تعبير الجاحظ في حديثه عن جماليات البلاغة النبوية، في البيان والتبيين ٢/١٧- ١٨.

(٢) ورد في مسند الإمام أحمد ٢/٢١٩، ١٦٥، والترغيب والترهيب ٣/٢٠٢، لحن العامة لأبي بكر الوبيدي ص٥٩، والتهذيب بمحكم الترتيب لابن شهيد الأندلسي(ت٤٢٦هـ)ص٢١٩، تحقيق د/حاتم صالح الضامن، طبع دار البشاير الإسلامية سنة ٢٠٠٢م.

(٣) لحن العامة لأبي بكر الزبيدي ص٥٩، والتهذيب بمحكم الترتيب لابن شهيد لأندلسي (ت٤٢٦هـ) ص٢١٩.

(٤) رواه البخاري.وبقيته: "وإذا أتى على قوم فسلم عليهم، سلم ثلاثًا"، والأذكار للإمام النووي ص٢٨٩. والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ج:١ ص:٢٣٤. وراجع تخريج الشيخ الألباني في رياض الصالحين للإمام النووي ص٢٩٩، رقم ٧٠١.

غير خطل"[١]. وهي كذلك: "حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة"[٢].

يقول الجاحظ: "قال - تبارك وتعالى- : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ ؛ لأن مدار الأمر على البيان والتبيين وعلى الإفهام والتفهيم. وكلما كان اللسان أبينَ كانَ أحمدَ. كما أنه كلما كان القلبُ أشدَّ استبانةً، كان أحمدَ. والمُفهِم لك والمُتَفهِّم عنك شريكان في الفضل، إلا أن المفهم أفضل من المُتَفهِّم"[٣].

رفض التطويل:

أما التطويل بزيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة فمرفوض، وغير موجود في البيان النبوي، يقول ابن مسعود- رضي الله عنه- : "كان رسول الله يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا"[٤] فالهدف الأسمى للوعظ هو الإفهام، ولن يتأتّى إفهام لإنسان عنده سأم وملل و نفور من المتكلم؛ ولذلك كان الوعظ النبوي خاليًا من الحشو والفضول والزيادات.

تقاليد خطابية جديدة :

ازدهرت الخطابة في صدر الإسلام ازدهارًا عظيمًا، إذ صارت الأداة القولية

---

(١) راجع: كتاب الصناعتين ص١٩٠، والعمدة ٢١٣/١، والإيضاح للقزويني ص١٢٨، وعلم المعاني للدكتور عبد العزيز عتيق ص١٨٦، طبع دار النهضة العربية سنة ١٩٨٠م .

(٢) مواد البيان لعلي بن خلف الكاتب(ت بعد٤٣٧هـ) ص٦٤، تحقيق حاتم صالح الضامن، طبع دار البشاير بدمشق سنة ٢٠٠٣م. راجع في حدود البلاغة: البيان والتبيين ٨٨/١، وعيون الأخبار ١٧٠/٢، والعقد الفريد ١٨٩/٤، والعمدة ٢٤١/١. وغير ذلك من المظان.

(٣) البيان والتبيين ٢١/١.

(٤) متفق عليه، راجع تخريج الشيخ الألباني في رياض الصالحين للإمام النووي ص٣٠٠، رقم ٧٠٤.

الفعالة في الدَّعوة، وفي تنظيم شؤون الدولة، وفي توجيه الجماعة الإسلامية. بل صارت الخطابة مرتبطة بالشعائر الإسلامية، وتمثّل ذلك في خطبة الجمعة ويوم عرفة والعيدين وصلاة الاستسقاء والخروج إلى الجهاد. وكثيرًا ما نطالع في كتب السيرة والسنة، صعود النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى المنبر يخاطب المسلمين في أمور شتى: أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر. وتُعدّ خطبة الوداع أشهر خطبه – صلى الله عليه وسلم – وكذلك كان الخلفاء الراشدون وولاتهم من بعدهم.

وكانت خطابته قصيرة ومؤثرة ودالة، استخدم فيها النبي ﷺ كل وسائل الإفهام المُمكنة من إشارة معبرة، وحركات جسدية مؤثرة، فقد وصف جابر بن عبد الله – رضي الله عنه– خطابة النبي ﷺ قائلا: كان"إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه نذير جيش..."[(١)].

وأحدث النبيﷺ جملة تقاليد في فن الخطابة لم تكن معهودة من قبل، مثل أن يقف على منبر أو نشَز من الأرض، وقد اعتمد على قوس أو سيف أو عصا، ويقبل على الناس مسلمًا، وتفتح خطبتا العيدين بالتكبير، وسائر الخطب بالتحميد، وأن تكون خالية من السجع المتكلف[(٢)] ومن المنافرات والمفاخرات المتعصبة، وأن تكون ذات موضوع واحد يلم الخطيب بأطرافه وتفاصيله[(٣)]... وكان لهذا أثره في الإبداع الخطابي عند جيل الصحابة ومَن تبعهم بإحسان، رضي الله

---

(١) راجع صحيح مسلم ١١/٣، حديث رقم ٤١٠، ومختصر صحيح مسلم ص١١٣، وأمثال الحديث للرامهرمزي ص١٩، والبيان المحمدي ص٢٦٤.

(٢) راجع في ذلك: صحيح الإمام مسلم١١١/٥، وموطأ الإمام مالك ١٩٢/٢، وتاريخ الطبري٢٥٧/٣ نقلاً عن تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي للدكتور شوقي ضيف- رحمه الله- ص١١٣، طبع دار المعارف بالقاهرة سنة٢٠٠٤م،

(٣) راجع: تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي ص١٠٧.

عنهم أجمعين. وظهر من تلك التقاليد مصطلحان نقديان في العصر الأموي[١] هما الخطبة البتراء أي الخالية من التحميد، والخطبة الشوهاء أي الخالية من الاقتباس القرآني أو النبوي. وكذلك كان الشأن النبوي مع فن الكتابة الذي تطور عهدئذٍ تطورًا ملحوظًا[٢]، فاتسعت ميادينه، وتنوعت أساليبه، ووُظِّف في كثير من مجالات الحياة، وصار أداة من أدوات التوثيق الأساسية في الحياة النبوية الشريفة...

فالإبلاغ- كما يقرر العقاد- هو السمة المشتركة في أفانين الكلام النبوي جميعًا، حتى ما جرى منه مجرى القصص أو مجرى الأوامر إلى المرؤوسين أو مجرى الدعاء الذي يلقِّنه المسلم ليدعو الله على مثاله[٣]. فالنص يوجد بقارئه. إنه صفحة بيضاء، لا يقول شيئًا، قبل أن يسقط المتلقي القارئ رغبته عليه، ورواج النص الأدبي يرتبط بمدى تقبل المتلقين واستجابتهم له أكثر من ارتباطه بمؤلفه، كما يقرر دعاة نظرية التلقي ومستوردوها في عصرنا، أولئك الذين لم يشيروا في دراساتهم -للأسف- إلى كثير من مبادئ هذه النظرية في المأثور النبوي الشريف، على الرغم من اهتمامهم بتقرير وجود كثير من هذه المبادئ في التراث العربي، غير النبوي!!![٤]

(١) راجعهما في البيان والتبيين للجاحظ١/١١٨، و٢/٦، نقلا عن العصر الإسلامي ص١١٢.

(٢) راجع: مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة للأستاذ محمد حميد الله، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، والعصر الإسلامي ص١٢٩ وما بعدها.

(٣) عبقرية محمد ﷺ ص١٠٦.

(٤) راجع: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ص٣٢٢، د/ عبد العزيز حمودة، طبع سلسلة عالم المعرفة بالكويت س١٩٩٨م، وقراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب النقدية الحديثة وتراثنا النقدية، د/محمود عباس عبدالواحد، طبع دار الفكر العربي بالقاهرة سنة ١٩٩٦م، والمتلقي والنص الآخر بين التراث والمعاصرة، د/عايدة عبدالحافظ، طبع جمعية حماية اللغة، سنة ٢٠٠٢م.

والحق صفة أساسية في البيان النبوي؛ فقد رُوي أن عددًا من الصحابة- رضوان الله عليهم أجمعين- قالوا له: يا رسول الله! إنك تداعبنا، قال: إني لا أقول إلا حقًّا"[1]. وقال: " إن لصاحب الحق مقالاً"[2]؛ ولذا وُصِف الصحابة- رضوان الله تعالى عليهم أجمعين- بأنهم كانوا"يتبادحون بالبطّيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال[3]".وتشير السيدة أم معبد- رضي الله عنها- إلى الخصائص الصوتية لبلاغته - ﷺ- قائلة: إنه: " حلو المنطق، فصل، لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نُظمْن، وكان جهير الصوت، حسن النغْمة"[4].

إن كلامه صحيح فصيح جاد، ليس فيه ما سُمِّي عند البلاغيين تنافر الحروف أو الكلام أو التعقيد اللفظي. إنه ألفاظ خفيفة على اللسان، يسيرة عند النطق بها، بسبب تكونها من أصوات متلائمة، تألفها الأذواق، وتميل إليها الأسماع... والأمثلة على ذلك فوق الحصر، وقد أعدت فيه بحوث كثيرة ودراسات متنوعة، قديمًا وحديثًا ومعاصرًا.وهكذا أرسى النبي ﷺ ببيانه أسس الأداء الأمثل، والإلقاء

---

(١) حديث صحيح ورد في الأدب المفرد ص٢١٤، رقم ٢٦٥، وقد رواه الترمذي، وأحمد عن أبي هريرة، وقال: حديث حسن. الأذكار للإمام النووي ص٢٨٩. وتداعبنا: تمازحنا. قال بعضهم: وتصدير الجملة بـ"إن" يدل على إنكار سابق، كأنهم قالوا: سبق أن منعتنا عن المزاح، ونحن أتباعك مأمورون باتباعك في الأفعال والأخلاق!! فقال: لا أقول إلا حقًّا" جوابًا للسائل يتضمن العلة الباعثة على نهيهم عن المداعبة. والمعنى: إني لا أقول إلا حقًّا، فمَن قدر على المداعبة كذلك فجائزة. والنهي عما ليس كذلك. وأطلق النهي نظرًا إلى حال الأغلب من الناس، كما هو من القواعد الشرعية في بناء الأمر على الحال الأغلب. راجع الشرح المختصر من شرح ابن علان، بحاشية الأذكار ص٢٨٩- ٢٩٠.

(٢) صحيح مسلم ٥/٥٤، حديث رقم ٩٥٧، ومختصر صحيح مسلم ص٢٥٤.

(٣)أثر صحيح، أورده البخاري في الأدب المفرد ص٢١٥، رقم ٢٦٦، وأورده الزمخشري بلفظ آخر في كتابه الفائق، والبدح: رميُك بكل شيء فيه رخاوة.

(٤) الشفا للقاضي عياض ١/٤٧، والبيان المحمدي ص٥٦.

الأكمل، مما دفع كثيرًا من العلماء - قديمًا وحديثًا-[1] إلى تتبع جوانب عظمة البلاغة النبوية، مقدمين المثل تلو المثل من تلك البلاغة إلى عامة الأدباء في كل عصر ومصر. وسيظل ذلك ديدنهم منذ كان التأليف إلى يوم البعث.

* * *

(١) من القدماء الجاحظ في البيان والتبيين، وابن جلاء الرامهرمزي (ت٣٦٠) في كتابه أمثال الحديث، وأبو محمد الأصفهاني (ت٣٦٩هـ) في كتابه "أخلاق النبي وآدابه"، والشريف الرضي (٤٠٦هـ) في كتابه "المجازات النبوية"، والبيهقي (ت ٤٥٨هـ) في دلائل النبوة، والقاضي عياض (ت٥٤٤هـ) في كتابيه: "الشفا بتعريف حقوق المصطفي، وبغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد" وابن قيم الجوزيه (ت ٥٧١هـ) في "زاد المعاد في هدي خير العباد"... وغيرهم. ومن المحدثين: الأستاذ مصطفي صادق الرافعي (ت ١٩٣٧م) في كتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، والدكتور محمد رجب البيومي في كتابه"البيان النبوي"، والدكتور مصطفي الشكعة في كتابه "البيان المحمدي"... وغير ذلك.

المبحث الثالث : المعايير الجمالية النبوية في نقد النثر :

بتفحص المأثور النبوي الشريف يلاحظ وجود جملة نصوص نقدية تفيد المتكلم – مبدعًا(في النثر الفني)، وغير مبدع(في النثر العادي)- في إنتاجه اللغوي - فنيًّا وغير فني - وتقدم جملة من المعايير النقدية، التي كان لها حضور واضح في الفكر النقدي التراثي، وما زالت موجودة في ممارساتنا النقدية، ينطلق منها الناقد في تحليله النص الأدبي، مطبقًا هذه المعايير، ومفصلاً لها.

وإنما حرصت على إثبات تلك النصوص النقدية النبوية العامة، الشاملة للنثر بنوعيه: الفني وغير الفني ؛ لإثراء البحث أولاً، للإفادة العامة والتثقيف الشامل لقطاع كبير من المتلقين ثانيًا. ويمكننا إجمالها فيما يلي :

قصد الوضوح :

الوضوح مقياس نبوي أساس، دعا إليه الله - تعالى- في قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[1]، وقد قال الرسول ﷺ: حَدِّثوا الناسَ بما يعرفون، أتُحبون أن يُكذَّب اللهُ ورسولُه، ودَعوا ما يُنكرِون، واتركوا ما يَشتبِهُ عليهم فهمُه"[2]؛ وذلك لأن السامع لما لم يفهمه يعتقد استحالته جهلا فلا يعرف وجوده، فيلزم التكذيب[3]؛ لأنه إن فعل ذلك ترتَّبت عليه مفاسدُ كثيرة...

الإيجاز :

ولا يظنن ظان أن القصد النبوي إلى الإيضاح مدعاة إلى تفضيل الإطناب على

---

(١) سورة إبراهيم، الآية٤.

(٢) حديث صحيح ورد في البخاري حتى قوله"ورسوله" والزيادة من مستخرج أبي نعيم. راجع الأذكار ص٢٨٦.

(٣) من الشرح الموجز المختصر من شرح ابن علان للأذكار حاشية ص٢٨٦.

الإيجاز؛ فقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإيجاز عن طريق أحاديثه الشريفة، ولا عجب في ذلك، فقد"أوتي جوامع الكلم، واختُصر له الكلام اختصارًا"[(١)]، وذكر أن مما يكرهه ﷻ الله تعالى لنا: " قيل وقال، وكثرة السؤال"[(٢)]. وقد روى عن أبي وائل - رضي الله عنه- خطبنا عمار - رضي الله عنه- فأوجز وأبلغ، فلما نزل قلنا: يا أبا اليقظان، لقد أبلغتَ وأوجزتَ، فلو تنفَّستَ، فقال: إني سمعت رسول الله يقول: "إن طول صلاة الرجل وقِصَر خطبته مَئِنَّة من فقهه، فأطيلوا الصلاة، واقصُروا الخطبة، وإن من البيان سحرًا"[(٣)]، وعن جابر بن سمرة - رضي الله عنه- قال: كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت صلاته قصدًا وخطبته قصدًا"[(٤)]، ولذا أُثِر عن أبي هريرة - رضي الله عنه- أنه قال: "لا خير في فضول الكلام"[(٥)].

والإيجاز هو البلاغة. والبلاغة هي الإيجاز مع الإفهام، والتصرف من غير إضجار، والقول بالإيجاز أنجع من البيان بالإطناب، كما يقرر كثير من البلاغيين[(٦)].

---

(١) مختصر المقاصد الحسنة ص١٦٦. والبيان والتبيين للجاحظ١/ ٢٢٢، ١/ ٥٧٢، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ١٦١، رقم ١٤٨٨، ، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي١/ ١٤، والمثل السائر ١/ ٦٥، ٢/ ١٠٩، والمزهر في علوم اللغة للسيوطي١/ ٢٧٥، ٤٧٨، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٨/ ٤٩٣.

(٢) صحيح مسلم ٥/ ١٣٠، رقم ١٢٣٦، ومختصر صحيح مسلم ص٣٣٤. ورياض الصالحين ص٣٢٠.

(٣) رواه مسلم في صحيحه٣/ ١٢، ومختصر صحيح مسلم ص١١٣. راجع تخريج الشيخ الألباني له في تخريجه لرياض الصالحين ص٣٠١، حديث رقم ٧٠٥. ومعنى تنفست: أطلت قليلاً، ومعنى مَئِنَّة: علامة دالة

(٤) صحيح مسلم ٣/ ١١، حديث رقم ٤١٧، ومختصر صحيح مسلم ص ١١٤.

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد ص٨٩٧، رقم ١٣٠٧.

(٦) مواد البيان لعلي بن خلف الكاتب(ت بعد٤٣٧هـ) ص٦٤- ٦٥، ٩١، صبح الأعشى ٢/ ٣٣٦.

والإيجاز نوع رئيس من أنواع الكلام كما يقول علماء البلاغة المتأخرون من لدن السكاكي (ت٦٢٦هـ) في (مفتاح العلوم) حتى عصرنا.

رفض الحشو والتطويل:

كما برز هذا المعيار في البيان النبوي، برز كذلك في التنظير النبوي؛ فقد دعا إليه النبي ﷺ في غير حديث:

رُوي أن أعرابيًّا قد أكثر عنده ﷺ فقال له: يا أعرابي! كم دون لسانك من حجاب؟ قال: شفتاي وأسناني، فقال: إن الله يكره الانبعاق في الكلام، فنضَّر الله وجه امرئ قصَّر من لسانه، واقتصر على حاجته"[١]. والانبعاق: هو الاندفاع والإكثار، وهو مذموم إذا جاوز مقدار الحاجة، إذ فيه سلوك ما يبعد جهلا بما يقرب. ويسمى نقديًّا الحشو غير المفيد والتطويل[٢].

وكذلك رُوي عن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أنه قال يومًا- وقد قام رجل فأكثر القول- : لو قصد في قوله لكان خيرًا له، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: لقد رأيت - أو أمرت- أن أتجوز في القول، فإن الجواز هو خير"[٣].

وروي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "إذا رأيتم العبد يُعطى زهدًا في الدنيا وقلة منطقٍ، فاقتربوا منه، فإنه يُلَقَّى الحكمة"[٤].

---

(١) الأدب لأبي بكر بن أبي شيبة، رقم١، ٨١/٦٧، وأعلام النبوة للماوردي ص٢٦٦، إحياء العلوم، بيروت، والبيان المحمدي ص٥٧.

(٢) كتاب الصناعتين ص١٩١.وراجع مواد البيان لعلي بن خلف ص٢٦٨، ٢٥٤.

(٣) رواه أبو داود- كتابه الأدب ٢٣٠٢/٤ رقم ٥٠٠٨ راجع حاشية محقق كتاب أصول الإيمان ص١٧٢.

(٤)حديث رواه البيهقي في شعب الإيمان٢٥٤/٤، رقم ٢٤٩٨٥ وأبو نعيم في الحلية ٣١٧/٧، وهو ضعيف وله شواهد ضعيفة. راجع السلسلة الضعيفة رقم ١٩٢٣، وحاشية محقق أصول الإيمان ص١٧٠ .ولا مانع من الاستئناس به هنا.

وما ذلك الرفض للإكثار الكلامي غير المفيد إلا لأن مَن كثر كلامُه، كثُر سقَطُه، ومَن كثُر سقطُه كثُرتْ ذنوبُه، ومَن كثُرتْ ذنوبُه صار في خطَر دنيوي وأخروي.

محاربة التكلف:

من المسلم نقديًّا أن الإبداع الأدبي المطبوع محمود ممدوح، وأن المتكلِّف بغيض مذموم، ولذلك قال أبو الحسن الرماني (ت٣٨٤هـ): "أصل البلاغة الطبع، ولها مع ذلك آلات تُعين عليها، وتوصل للقوة فيها، وتكون ميزانًا لها وفاصلة بينها وبين غيرها..."[(١)].

وكما جاء بيان النبي - ﷺ - مطبوعًا، غير متكلِّف، جاءت أحاديثُه محفزة على الطبع، ناهيةً عن التكلف، منفِّرة منه، مُهَجِّنة لأهله، فقد روى أبو هريرة أن رسول - ﷺ - قال: "شرار أمتي الثرثارون المتشدقون المتفيهقون"[(٢)]، وفي رواية: "... وإن أبغضكم إليَّ وأبعدَكم مني مساوئكم أخلاقًا: الثرثارون ..."[(٣)]. والثرثارون: الذين يكثرون القول، تكلفًا، ولا يكون إلا قولاً باطلاً، والمتشدقون: المتطاولون على الناس بكلامهم، يتكلمون بملء فيهم تفاصحًا وتعظيمًا لكلامهم.[(٤)]

---

(١) العمدة ٢١٣/١.

(٢)حديث صحيح، ورد في الأدب المفرد ص٨٩٧، رقم ١٣٠٨، وأخرجه أحمد ١٩٣/٤، وابن أبي شيبة في المصنف ٥١٥/٨رقم ٥٣٧٢، وابن حبان ٢٣١/٢رقم ٤٨٢، ٣٦٨/١٢، رقم ٥٥٥٧، والطبراني ٢٢١/٢٢، رقم ٥٨٨، وأبو نعيم في الحلية ٩٧/٣، ١٨٨/٥،) والبيهقى في شعب الإيمان ٢٥٠/٤، رقم ٤٩٦٩، والبغوى في شرح السنة ٣٦٦/١٢، رقم ٣٣٩٥، والترمذى نحوه في كتاب البرو الصلة ع/٣٢٥، رقم ٢٠١٨.ورياض الصالحين ص٥٩٠، رقم ٦٣٦، و ١٧٤٧.

(٣) راجع حاشية محقق أصول الإيمان صـ١٦٦.

(٤) وقيل: هم المتوسعون في الكلام من غير احتياط أو احتراز. وقيل: المستهزئون بالناس. والمتفيهون: أصله من

ولا شك في أن كثرة الكلام، والتوسع فيه، وملء الفم به، من دلائل التكلف. ومثل التشدق في هذا الحديث المروى عن عبد الله بن عمرو- رضى الله عنهما- مرفوعًا: " إن الله يبغض البليغ من الرجال، الذي يتخلل بلسانه كما تخلَّل البقرة بلسانها"(١).

وغالبًا ما يقترن التكلف الكلامي بمعاني الباطل، فعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " مَن تعلم صرْفَ الكلام ليسبيَ به قلوب الرجال أو الناس، لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً"(٢). وعن سعد بن أبي وقاص- رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ" لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقر بألسنتها"(٣).

إن في الطبع صدقًا وخيرية وعفوية تناسب الفطرة الإنسانية. أما التكلف ففيه تمحُّل وتصنُّع ولوي للكلام، وتفضيل للَّفظ على حساب المعنى؛ ومن ثم رفض الرسول - ﷺ- الحرص على المحسنات اللفظية في بيانه؛ فقد رُوِيَ أن وفد بني عامر انطلق إلى النبي ﷺ فقالوا: أنت سيدنا. قال: السيد الله، قالوا: وأفضلنا

الفهْق، وهو الامتلاء، وهو الذي يملأ فمه بالكلام، ويتوسَّع فيه، ويُغرِب به تكبرًا وارتفاعًا، وإظهارًا للفضيلة على غيره. وقيل: مَن يتسع شدقُهم وفمُهم بالكلام الباطل تكبرا وتطاولا.راجع تفسير هذه المفردات في رياض الصالحين ص٢٧٨، رقم ٦٣٦، و كتاب الأمالي لأبى على القالى (ت٣٥٦هـ) ٢٩٦/٢ طبع دار الكتب العلمية بلبنان سنة ٢٠٠٠م، وحاشية محقق الأدب المفرد صـ٨٩٧ رقم ١٣٠٨.

(١) رواه الترمذى، كتاب الأدب ١٢٩/٥، رقم ٢٨٥٣، وأبو داوود، كتاب الأدب ٣٠١/٤رقم ٥٠٠٥، وقال: حديث حسن، وأحمد ١٦٥/٢، ١٨٨.راجع رياض الصالحين ص٥٩٠، رقم ١٧٤٦. وهو في السلسلة الصحيحة: رقم ٨٨. راجع حاشية محقق أصول الإيمان صـ١٦٨.

(٢) رواه أبو داود: كتاب الدعوات ٣٠٢/٤،رقم ٥٠٠٦. راجع حاشية محقق أصول الإيمان صـ١٦٨.

(٣) رواه في سنده ١٨٤/١، والبغوى في شرح السنة ٣٦٧/١٢ رقم ٣٣٩٧ وراجع حاشية محقق أصول الإيمان ١٦٧- ١٦٨.

فضلا وأعظمنا طَوْلا. قال: فقال: قولوا بقولكم، ولا يستجْرِيَنَّكم الشيطان"(١).
ففي الحديث نهي عن الغلو المدحي، الوارد في لفظة"سيدنا" ؛ وذلك لأن السؤدد حقيقة لله تعالى، تعظيمًا لربه وتواضعًا، ومراعاة لآداب الشريعة والطريقة... وهذا لا ينافي السيادة المجازية والسيادة الإضافية المُعطاة لأفراد الإنسان. وإنما منعهم أن يدعوه سيدًا، مع قوله ﷺ: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر"(٢) ؛ لئلا يحسبوا السيادة بالنبوة، من أسباب الدنيا، من أجل كونهم حديثي عهد بالإسلام، وكان لهم رؤساء يُعَظِّمونهم ويَنقادون لأمرهم"(٣). كما نهاهم عن مخاطبته بالسجع المتكلف الوارد في: " أفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولا".

وقد رُوي أنه قال - لما استمع إلى عدد من الخطباء- : " أيها الناس قولوا قولكم ؛ فإنما تشقيق الكلام من الشيطان"(٤). وتشقيق الكلام هو التطلُّب فيه ليخرجَ أحسنَ مخرجٍ، ويكون من الشيطان إذا كان فيه مبالغة كاذبة وتزيين للباطل. وفي الأثر أن أنسًا - رضي الله عنه- قال: خطب رجل عند عمر - رضي الله عنه- فأكثر الكلام، فقال عمر: إن كثرة الكلام في الخطب من شقاشق الشيطان"(٥).

---

(١)حديث صحيح أخرجه النسائي وأبو داوود وأحمد ٤/٢٣. ٢٥، بطرق، وصححه غير واحد. وهو في الأدب المفرد صـ١٧٥ رقم ٢١١. ويستجرينكم: لا يتخذنكم جريًا وهوالكثير الجري في طريقه ومتابعة خطواته ؛ فإن الجري مظنة العثار، فتلك جريَّة خطرة غير محمودة.

(٢) في صحيح مسلم٥٩/٧، رقم ١٥٢٤، وفي مختصر صحيح مسلم٤٠٢.

(٣) من حاشية الشيخ محمد إلياس الباره بنكوي، أستاذ الحديث الشريف بالمدرسة الإسلامية بنيودلهي، في تحقيقه كتاب الأدب المفرد ص١٧٥- ١٧٦.طبع المركز العربي بالشارقة سنة٢٠٠٤م.

(٤)حديث صحيح أخرجه البخارى في الطب وفى النكاح، والترمزى في البر، وابن حبان في موضعين. وهو في الأدب المفرد صـ٦١٣رقم ٨٥٧ .

(٥) حديث صحيح الإسناد. ورد في الأدب المفرد ص٦١٤، رقم ٨٧٦.وشقاشق: جمع شقشقة وهي جلدة حمراء يخرجها الجمل من جوفه فينفخ فيها فتظهر من شدقه. شبه الفصيح المنطيق بالفحل الهادر، ولسانه

وكان النبي ﷺ ينفر من الكلام المتكلف ولا يرتاح إلى السجع الكثير الذي يُجافي الطبع ويُؤذي السمع؛ ويفسد المعنى، ولذا روي عن الشعبي، قال: قالت عائشة لابن أبي السائب، قاص أهل مكة: اجتنب السجع في الدعاء؛ فإني عهدت فَإِنِّي عَهِدْتُ النَّبِيَّ وَأَصْحَابَهُ يَكْرَهُونَ ذلِكَ[(١)]. كما روي عن ابن مسعود أنه ﷺ قال: هلك المتنطعون" قالها ثلاثًا"[(٢)]. وهم المبالغون في الأمر.

وقد ضاق ذرعًا على الرغم من حلمه، ﷺ، الواسع برجل قال كلامًا يستغرب فيه دية حكَم بها رسول الله لمرأة ضربتْها ضرتُها، وكانت حاملاً فأسقطت جنينها. قال رجل: يا رسول الله: كيف نَدِي مَن لا شرب ولا أكل. ولا صاح فاستهل. فمثل هذا يُطل؟! فقال - عليه السلام- أسجعًا كسجع الجاهلية". وفى رواية: " أسجعًا كسجع الكهان"[(٣)].

بشقشقته، ونسبها إلى الشيطان لما يدخل في فضول الكلام من الكذب والباطل.[عن حاشية محقق الأدب المفرد]. وقد روي عن أَنَسٍ قَالَ: "كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ نُهِينَا عَنْ التَّكَلُّفِ".صحيح البخاري رقم ٦٧٤٩.باب مايكره من كثرة السؤال.

(١) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. ورواه أبو يعلى بنحوه . راجع: مسند الإمام أحمد٧/٣١٠، ومصنف ابن أبي شيبة٧/٢٣، ومجمع الزوائد للهيثمي ١/٤٥٣، وصحيح ابن حبان ٢/١٢٦، وجامع المسانيد والمراسيل للجلال السيوطي١٨/١٣، وكنز العمال للمتقي الهندي ١/٣٧٨.

(٢) رواه مسلم في صحيحه٨/٥٨، رقم ١٨٢٤، وفي مختصر صحيح مسلم ص٤٨١، وفي رياض الصالحين ص٥٩٠، رقم ١٧٤٥.

(٣) ورد في صحيح مسلم، رقم ٣١٨٧، باب دية الجنين ووجوب الدية بلفظ: "سجع كسجع الأعراب"، وفي مسند أحمد، رقم ١٧٤٤٦، ٥/٢٩٦، ٣/٣٥٣، حديث المغيرة بن شعبة، رضي الله عنه.بلفظ: سجع مثل سجع الأعراب. وفي مصنف ابن أبي شيبة٧/١٢، رقم ٥٢، بلفظ: "إن هذا يقول بقول شاعر". وفي المعجم الكبير للطبراني، رقم ٥١٦، ١/٢١٧بلفظ: دعني من رجز الأعراب. وفي صحيح ابن حبان، رقم٦١٢٢، باب الغرة بلفظ: "إنما هذا من أحداث الكهان، من أجل سجعه الذي سجع". وفي مشكل الآثار للطحاوي١٠/١٠٠، رقم ٣٨٩٤ بلفظ: "دعني من أراجيز البادية" أو أراجيز

ولا يظنن ظانٌّ أن ذلك موقف نبوي رافض لأسلوب السجع رفضًا تامًّا ؛ إذ من المقرر بلاغيًّا أنه لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجًا[مسجوعًا] ولا تكاد تجد لبليغ كلامًا يخلو من الازدواج[السجع]. و لو استغنى كلام عن الازدواج، لكان القرآن ؛ لأنه في نظمه خارج من كلام الخلق... وقد ذمه بعض أرباب هذه الصناعة، وقد رد كثير من البلاغيين على الذامِّين للسجع بقولهم: إن سبب هذا الذم هو عجزهم أن يأتوا به وإلا فلو كان مذ ومًا لما ورد في القرآن الكريم، الذي هو عنصر البلاغة ومناط الإعجاز ؛ فهو مشحون به لا تخلو منه سورة من سوره، وإن قصرت، بل ربما وقع السجع في فواصل جميع السورة كما في سورة النجم واقتربت والرحمن وغيرها من السور، بل ربما وقع في أوساط الآيات، وقد ورد في كلام النبي ﷺ شيء كثير منه أيضًا(1). كما أعجب العرب السجع حتى استعملوه في منظوم كلامهم، وصار ذلك الجنس من الكلام منظومًا في منظوم(2)وسجعًا في سجع(3).

أما ما ورد من أنه ﷺ حين قضى على رجل في الجنين بغرة عبد أو أمة ؛ فقال الرجل: أأدي مَن لا شرِب ولا أكل. ولا نطق ولا استهل. ومثل ذلك يُطَل. فقال النبي ﷺ: "أسجعًا كسجع الكهان"، فليس فيه دلالة على كراهة السجع في

الأعراب". وفي فتح الباري شرح صحيح البخاري١٤٧/٨ وفي سنن النسائي الصغرى٤٢١/٨، وفي سنن الدارمي١٩٧/٢، وفي سنن أبي داوود٣١٥/١٢، وراجع: إعجاز القرآن للباقلانى صـ ٥٧، وفي كتاب الصناعتين ٢٦١/١، والمثل السائر١٩٦/١، ١٩٧، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي٣٠٤/٢، ٣٠٣، والنظرة النبوية في نقد الشعر صـ٥٩، والبيان المحمدى صـ٢٦٤.

(١) الصناعتين ج: ١ ص: ٢٦٠، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ج: ٢ ص: ٣٠٣

(٢) هو ما يسمى التصريع أو التقفية في علمي البديع والعروض.

(٣) الصناعتين ج: ١ ص: ٢٦٤

الكلام، وإن تمسك به بعض مَن نبا عن السجع طبعُه ونفَرت منه قريحتُه؛ إذ يُحتَمل أنه ﷺ إنما كره السجع من ذلك الرجل لمشابهة سجعه حينئذ سجع الكهان؛ لأَنَّهُ كَانَ سَجْعاً فِي بَاطِلٍ، اعْتِرَاضاً عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلّم.وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ السَّجْعَ كَلامٌ كَسَائِرِ الكَلامِ، فَحَسَنُهُ حَسَنٌ، وَقَبِيحُهُ قَبِيحٌ[(١)].

وقد وجهه أبو هلال العسكري(ت بعد ٣٩٥هـ) وجهة أخرى. قال: "لأن التكلف في سجعهم فاشٍ، ولو كرهه لكونه سجعًا، لقال: أسجعًا ثم سكت. وكيف يذمه ويكرهه، و[هو] إذا سلم من التكلف وبرئ من التعسف لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسن منه، وقد جرى عليه كثير من كلامه، عليه السلام؟!"[(٢)].

و إما لجريانه على عادتهم في الجواب في الأحكام وغيرها بالكلام المسجوع كما وجهه غيره. أو أنه إنما كَرِه حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع، بإنكار إيجاب الدية لا نفس السجع المأتي به، كما اختاره صاحب المثل السائر، ولو كره ﷺ السجع نفسه لاقتصر على قوله: أسجعًا، ولم يقيده بسجع الكهان[(٣)].

قال ابن الأثير الكاتب(ت٦٣٧ هـ): "لو كره النبي ﷺ السجع مطلقًا لقال: "أسجعًا"، ثم سكت. وكان المعنى يدل على إنكار هذا الفعل: لمَ كان؟! فلمَّا قال: "أسجعًا كسجع الكهان"، صار المعنى معلقًا على أمر، وهو إنكار

---

(١) راجع: الاستذكار لابن عبدالبر القرطبي ٣٤٨/٧، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

(٢) الصناعتين ج:١ ص:٢٦١

(٣) راجع في ذلك: الصناعتين ج:١ ص:٢٦١، و المثل السائر ج:١ ص:١٩٥، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا ج:٢ ص:٣٠٣.

الفعل : لِمَ كان على هذا الوجه؟! فعُلِم أنه إنما ذم من السجع ما كان مثل سجع الكهان، لا غير، وأنه لم يذمَّ السجع على الإطلاق[1].

فالسجع إذًا ليس بمنهي عنه، وإنما المنهي عنه هو الحكم المتبوع في قول الكاهن، أو التكلف له تكلُّفًا يفسد المعنى، أو يُحدث باللفظ نقصًا أو زيادة تجعل في الكلام حشوًا أو تطويلا.

فظاهر من هذه النصوص النقدية أنها محاربة لتعمد الافتتان بأساليب تُزيِّن اللفظ تزيينًا يسلب لُبَّ المتلقي، ويصرِفه عن مضمون النص ومغزاه، وذلك مناط الفشل الإبداعي عند المتكلِّفين.

الدقة الأسلوبية:

توجد نصوص نبوية كثيرة متنوعة دارت حول أهمية الدقة في اختيار ألفاظ النص وتعبيراته، حتى لا يقع مبدع النص في زلل جاهلي أو شركي مرفوض إسلاميًّا، منهي عنه. وهي نصوص تنطلق من منظور خاص لحرية الأديب، التي هي" حرية فرد في مجتمع من حقه أن يمارسها كيفما شاء، لكن ليس على حساب الآخرين. ومن هنا جاز أن تصادر حرية الأديب إذا انحرف أو ضل، أو إذا جاوز بها النطاق الذي يلزمه به كونه إنسانًا يعيش في مجتمع... وهذه المصادرة لا تعني بحال من الأحوال إهدار الحرية الفردية، وإنما تعني احترام مدنية الإنسان"[2].

و"كل أدب لا يستهدف الكمال والفضيلة والمثالية والفائدة العامة هو أدب

(١) المثل السائر ج:١ ص:١٩٦. وقد أنكر ابن الأثير هذا الحديث، فقال: فيه نظر، وإن الوهم يسبق إلى إنكاره!!

(٢) قيم جديدة للأدب العربي والمعاصر، د/عائشة عبدالرحمن، ص٧٩، طبع دار المعارف سنة ١٩٩٢م.

عاجز مريض، لم يُكتَب له البقاء"[1].

والأدلة النصية على تطلُّب الدقة الأسلوبية كثيرة جدًّا، منها:

* نهيه ﷺ أن يُستعمل اللفظ الشريف المصون في حق مَن ليس من أهله"[2]؛ إذ روى أنه قال: " لا تقولوا للمنافق سيد، فإنه إن يك سيدَكم، فقد أسخطتم ربَّكم، عز وجل"[3].

* نهيه ﷺ المملوك أن يقول لسيده أو سيدته: ربي أو ربتي، ونهى السيد أن يقول لمملوكه: عبدي ولكن يقول المالك: فتاي وفتاتي، ويقول المملوك: سيدي وسيدتي"[4]. وقد علل ذلك بقوله: " كلُّكم مملوكون، والرب الله عز وجل"[5].

* هذا، وقد رويت جملة أحاديث فيه مراجعة من النبي ﷺ لبعض الأسماء، وتدبر في مدلولها وإيحائها؛ فقد رُوي أنه منع من تسمية أبى جهل بأبي الحكم، وغيَّر اسم أبى جهل من الصحابة إلى شريح. وقال: " إن الله هو الحكم، وإليه الحكم"[6]. كما رُوي أنه سأل من يسوق إبلنا هذه، قال: رجل أنا. قال: ما اسمك؟ قال: فلان. قال: اجلس. ثم قام آخر، فقال: ما اسمك؟ قال: فلان،

(١) النقد الجمالي وأثره في النقد العربي، أ/روز غريب ص٨٧، طبع دار العلم للملايين ببيروت سنة ١٩٥٢م.

(٢) النظرة النبوية في نقد الشعر صـ٦١، ٦٢.

(٣)حديث صحيح، خرجه أبو داوود في الأدب، والحاكم، وهو في الأدب المفرد صـ٥٤٤ رقم ٧٦٠. وفي رياض الصالحين ص٥٨٧، رقم ١٧٣٤.

(٤)حديث صحيح أخرجه النسائى وأبو داوود وهو في الأدب المفرد صـ١٧٤، ١٧٥ رقم ٢١٠. وله رواية أخرى في صحيح مسلم ٤٧/٧، رقم ١٤١٣، راجع مختصر صحيح مسلم ص٣٧٣.

(٥) الأدب المفرد صـ١٧٥.

(٦)حديث صحيح أخرجه أبو داوود في الأدب، والنسائى والترمذى في الدعوات، وابن حبان، والحاكم في الإيمان، وفى الأدب. راجع الأدب المفرد صـ٥٧٥، ٥٧٦ رقم ٨١١.

قال : اجلس ، ثم قال آخر. فقال : ما اسمك؟ قال : فلان. فقال : اجلس ، ثم قام آخر ، فقال : ما اسمك؟ فقال : ناجية ، قال : أنت لها فسُقها"[1] ؛ فاسم"ناجية" مشتق من النَّجاء ، وهو : " السُّرْعةُ في السير ، وقد نَجا نَجاءً ؛ ممدود ، وهو يَنْجُو في السُّرْعة نَجًا ، وهو ناج : سَرِيعٌ. ونَجَوْتُ نَجاء أي أَسْرَعْتُ وسَبَقْتُ...وفي الحديث : أَتَوْكَ على قُلُصٍ نَواجٍ أَي مُسْرِعاتٍ. وناقة ناجِية ونَجاة : سريعة ، وقيل : تَقطع الأَرض بسيرها... والناجِيةُ والنَّجاة : الناقة السريعة تنجو بمن ركبها"[2] ؛ ومن ثم فاسم"ناجية" يوحي بالقوة والسرعة. ولذلك مال إليه الرسول - ﷺ - تفاؤلاً ومحبة.

*كما رفض أسماء عدد من الصحابة أو أبنائهم نظرًا لما فيها من دلالة تأباها الفطرة السليمة ، أو إيحاء جاء ديننا الحنيف لمحاربته والقضاء عليه ، وأعطاهم أسماء جديدة فيها حسن وخير وتفاؤل. من هذه الأسماء المرفوضة : ملك الأملاك ، وحرب ، وعاصية ، والصرم ، ويسار ، ورباح ، وأفلح ، وحزن ، وبرة... إلخ [3].

*ومن إدراكه صلى الله عليه وسلم الفطري لأثر اللفظة صوتيًا ومعنويًا في النفوس ، ما رُوي أنه كان صلى الله عليه وسلم يتبرك بالاسم الحسن ، فقد رُوي أن النبي عندما قيل له ، في صلح الحديبية : أتى سهيل ، قال : " سهل الله أمركم"[4]. كما رُوي عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يعجبه الاسم الحسن ، فكثيرًا ما كان يختار الاسم الحسن عند إرساله رسولاً ؛ ليتفاءل به المرسَل إليه ،

---

(١) أخرجه الحاكم في الأدب. فقال صحيح الإسناد. الأدب المفرد ص٥٧٦ ، ٥٧٧ رقم ٨١٢.

(٢) اللسان[ن ج و]. وراجع أساس البلاغة ٤/٦٢٤ ، و المزهر للسيوطي١/٢٤٠.

(٣) راجع : الأدب المفرد ٥٧٩ وما بعدها ، ورياض الصالحين ٥٩٠ وما بعدها ، والأذكار ص٢٥٦ ، ص٣١٧.

(٤) حديث حسن لغيره ، ورد في صحيح البخاري مرسلاً ، وفي الأدب المفرد ص٦٤٤ ، رقم ٩١٥.

فيكون ذلك أدعى إلى امتثال ما أرسل إليه به النبي صلى الله عليه وسلم ، إن لم يكن كافرًا[1]. وكثيرًا ما كان يفعل ذلك مع رسله ، فيختار الاسم الحسن ليتفاءل به المرسَل إليه. فيكون ذلك أدعى إلى امتثال ما أرسل إليه به النبي صلى الله عليه وسلم.

*وفى مجال الدقة في العبارات نجد نصوصًا نبوية توجيهية رائعة[2]. منها قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يقل أحدُكم: يا خيبة الدهر. قال الله -عز وجل-: أنا الدهر، أرسل الليل والنهار، فإذا شئت قبضتهما، ولا يقولَنَّ للعنب: الكَرْم؛ فإن الكرْم المسلم"[3].

أما النهي عن سب الدهر؛ فذلك لأن العرب كان شأنها أن تسب الدهر عند النوازل من موت أو هرم أو تلف مال وغير ذلك. وهذه النوازل لا يقعن بأنفسهن، بل بفعل الله وإنزاله، فعسى أن يكون سببُه الله فنهى عنه ﷺ.

(١) راجع: الأدب المفرد ص٥٧٦- ٥٧٧، حديث رقم٨١٢، وحاشية المحقق ص٥٧٧. وفتح الباري ١٣/ ٧٢٧ وما بعدها.

(٢) أورد جامعو الحديث الشريف طائفة من هذه الأحاديث كالإمام البخاري في الأدب المفرد ص ٣١٦، ١٧٤، ١٥٤- ٣١٨، ٥١٠، ٥٤٣- ٥٩٦، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الأدب ٦/ ١٦٩ - ١٧٤، بدءًا من الحديث رقم١٣٩٦. وكذلك الإمام النووي في الأذكار في كتاب الأسماء، ص٢٥٤، وفي كتاب حفظ اللسان ص ٣١٧، وكذلك شأنه في كتابه رياض الصالحين، كتاب الأمور المنهي عنها.

(٣) حديث صحيح أخرجه الشيخان، وأحمد، والدارمي في الاستئذان، وأبو عوانة في الأسامي، وفى الأدب المفرد ٥٥٠ رقم ٧٧٠، وفتح الباري ١٣/ ٧١٣ رقم ٦١٨٣، ومختصر صحيح مسلم ص٣٧٢، رقم ١٤٠٨.وفي رواية: فإنما الكرْم قلب المؤمن" رياض الصالحين ص٥٩١، رقم ١٧٤٩- ١٧٥٠. وقد ورد للجزء الأول من الحديث ألفاظ أخرى مشابهة للنص الموجود. راجع صحيح البخاري، في كتب: الأدب، والتوحيد، والتفسير. وفي الأدب المفرد ص٥٤٩، رقم ٧٦٩. وسنن أبي داود في آخر كتابه، والنسائي في التفسير. راجع حاشية محقق الأدب المفرد.

أما النهي عن تسمية العنب كرْمًا فذلك" لأن الجاهلية كانت تسميه كرْمًا، وبعض الناس اليوم تسميه كذلك...قال الإمام الخطابي وغيره: أشفق النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم حُسنُ اسمها إلى شُرْب الخمر المُتَّخذَة من ثمرها، فسلبَها هذا الاسم"[1].

وقوله ﷺ : " لا يقولن أحدكم: خبثت نفسي، ولكن ليقل: لقست نفسي"[2] وذلك للفظ الخبث، وبشاعة الاسم منه، و كراهة أن يضيف المؤمن إلى نفسه الخباثة، التي هي صفة الشيطان، ولقست- وإن كانت بمعنى خبثت - لكنه ﷺ كره لفظ الخبث في صراحته وبشاعة الإيحاء الناجم عن الدلالة الكلية لجذره اللغوي. قال ابن الأعرابي[3]: تقول العرب: لقست نفسي، أي: ضاقت. وهو أجود لأن النفس تضيق من الأمر، ولا يكون بها غثيان؛ لأن الغثيان ضرب من الوجع"[4]. وهي من الارتفاع، كأن ما في البطن يرتفع إلى الحلق فحصل الغثْي.

---

(١) الأذكار، ص٣١٧- ٣١٨.

(٢) حديث صحيح أخرجه الشيخان والنسائي. وهو في الأدب المفرد صـ٥٧٥ رقم ٨٠٩، وفتح الباري١٣/٧١٠- ٧١١، رقم ٦١٨٠، ٦١٧٩، ومختصر صحيح مسلم ص٣٨٥، حديث رقم ١٤٦٦.و الأذكار ص٣١٧.

(٣) هو محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي (١٥٠ - ٢٣١ هـ = ٧٦٧ - ٨٤٥ م)، أبو عبد الله: راوية، ناسب، علامة باللغة. من أهل الكوفة.لم ير أحد في علم الشعر أغزر منه. في عصره.مات بسامراء. له تصانيف كثيرة، منها (أسماء الخيل وفرسانها - خ) و (تاريخ القبائل) و (النوادر - خ) في الأدب و (تفسير الأمثال) و (شعر الأخطل - ط) و (معاني الشعر) و (الأنواء) رسالة، و (البئر - ط) رسالة، و (الفاضل - خ) أدب، و (أبيات المعاني - خ). راجع الأعلام٦/١٣١.

(٤) راجع الشرح الوجيز المختصر من شرح العلامة ابن علان على الأذكار ص٣١٧. وحاشية الشيخ محمد إلياس الباره بنكوي، أستاذ الحديث الشريف بالمدرسة الإسلامية بنيودلهي، في تحقيقه كتاب الأدب المفرد ص٥٧٥، وأساس البلاغة للزمخشري، و لسان العرب لابن منظور: (ل ق س).

وبهذا علمهم - ﷺ- الأدب في الألفاظ، واستعمال الحسن منها وهجران قبيحها[1].وهذا الحديث يُفهم منه أن"أحد الرديفين قد يختص عن الآخر بحكم مخالف له في المعنى، في لفظه لم يوجد في لفظ الآخر، ثم الكراهة تنزيهية من باب أدب اللفظ"[2]

*ومن الدقة التعبيرية نهيه صلى الله عليه وسلم عن قول"لو" في قوله صلى الله عليه وسلم :"...احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر وما شاء فعل ؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان"[3]. وذلك لأن "لو" تُستخدَم للشرط في الماضي مع القطع بانتفائه، فيترتب على ذلك انتفاء الجزاء، مع إمكان وقوع الجزاء لو وجد الشرط[4].

وهذا النهي – كما قال شُرَّاح الحديث- ليس على إطلاقه بل هو منصب على من قال تلك اللفظة معارضة للقدر، أو تحسرًا شديدًا على ما فات من منافع الدنيا. فاختيار الألفاظ الحسنة والخالية من كل شوائب الفسق والعصيان والمخالفة لثوابت الدين الخاتم.

وكذلك ما روي أن رجلا قال للنبي ﷺ ما شاء الله وشئتَ. قال: جعلتَ لله

(١) الأذكار ص٣١٧، نقلا عن الإمام أبي سليمان الخطابي.

(٢) راجع الشرح الوجيز المختصر من شرح العلامة ابن علان على الأذكار ص٣١٧.

(٣) حديث صحيح أخرجه مسلم، راجع شرح صحيح مسلم للنووي ٢١٥/١٦، وفتح الباري ٢٤١/١٣، وتكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم٥١٢/٥، وسبل السلام ٣٩٧/٤، نقلا عن أحكام وآداب من السنة النبوية المطهرة، للدكتور صالح يوسف معتوق، ص١٣٠، طبع دار البشاير الإسلامية ببيروت سنة ٢٠٠٢م.

(٤) المفصل في علوم البلاغة العربية، د/عيسى العاكوب ص١٩٥.، طبع دار القلم بدبي سنة ١٩٩٦م.

ندًّا. ما شاء الله وحده"[1]. ورُوي أنه ﷺ قال عن هذه العبارة: "كنت أسمعها منكم فتؤذيني، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد"[2]، قال الخطابي[3] وغيره: "هذا إرشاد إلى الأدب؛ وذلك أن الواو للجمع والتشريك، وثم للعطف مع التراخي، فأرشدهم ﷺ إلى تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة مَن سواه"[4].

وكذلك روي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن رجلا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى" فقال رسول الله: بئس الخطيب أنت. قل: ومن يعص الله ورسوله"[5] فالتسوية بينهما مما يجافي تعاليم الرسالات السماوية. أو لعدوله عن الاسم الشريف الصريح

(١)حديث صحيح أخرجه ابن ماجه والنسائي في السنن الكبرى والطحاوي والدارمي، وهو في الأدب المفرد صـ٥٦٠ رقم ٧٨٣. وهناك رواية أخرى في سنن أبي داوود، بإسناد صحيح، أوردها النووي في رياض الصالحين، رقم ١٧٥٤، ص٥٩٢، وهو في الأذكار ص٣١٨.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، وسعيد بن منصور في سننه، وغيرهما عن جابر بن سمرة، رضي الله عنه. راجع حاشية محقق الأدب المفرد ص٥٦٠.

(٣)هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، أبو سليمان (٣١٩ - ٣٨٨ هـ = ٩٣١ - ٩٩٨ م): فقيه محدث، من أهل بست (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب (أخي عمر بن الخطاب، رضي الله عنه) له "معالم السنن"، ط، مجلدان، في شرح سنن أبي داود، و"بيان إعجاز القرآن"، و"إصلاح غلط المحدثين"، و"غريب الحديث"...إلخ راجع: الأعلام٦/١٣١.

(٤) الأذكار للنووي ص٣١٨.وقد درس البلاغيون فيما بعد دلالة حرف الواو في باب الفصل والوصل من علم المعاني.راجع دلائل الإعجاز١/١٧٥، دار الكتاب العربي ببيروت سنة ١٩٩٥م، والإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ١/٤٥- ٤٦، دار إحياء العلوم بيروت سنة ١٩٩٨م. والمفصل في علوم البلاغة العربية، د/عيسى العاكوب ص٢٩٨.

(٥) صحيح مسلم ٣/١٢، حديث رقم ٤١١، و١٤٣٨، وسنن أبي داود رقم ٩٢٦، وسنن النسائي رقم ٣٢٢٧، ومسند أحمد رقم ١٧٥٣٦، ومختصر صحيح مسلم ص١١٣، زاد الميعاد ٢/٣٥٠. وقد قال الخطيب غوَى بالألف المقصورة، وإنما هي بالياء"غوِي".

إلى إضماره[١]. وروي أنه قال في إثر مطر: " هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي، كافر بالكواكب. وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب"[٢]. وذلك لأنه"إن قاله معتقدًا أن الكوكب هو الفاعل فهو كفر، وإن قاله معتقدًا أن الله تعالى هو الفاعل، وأن النوء المذكور علامة لنزول المطر لم يكفر، ولكنه ارتكب مكروهًا لتلفظه بهذا اللفظ الذي كانت الجاهلية تستعمله، مع أنه مشترك بين إرادة الكفر وغيره"[٣].

وهذا يوضح مدى الخطورة الناجمة عن عدم دقة المتكلم في تعبيره، خطورة تصل إلى الانزلاق لمرتبة الكفر!! وروي كذلك أنه قال: " لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت. اللهم ارحمني إن شئت. ليعزم في الدعاء؛ فإن الله صانع ما شاء، لا مُكرِه له"[٤]؛ وذلك لأن "إن" الشرطية تُستَخدَم أصلاً في كل ما يُشَكُّ

---

(١) رسوخ الأحبار في منسوخ الأخبار للجعبري(ت٧٣٢هـ)ص٣٠٣، طبع مكتبة الإمام الشافعي بالرياض سنة١٤١٠هـ.

(٢) متفق عليه.وهو عند النسائي و أبو داود في الطب، وهو في الأدب المفردص٦٣٤، رقم ٩٠٦. راجع تخريج الشيخ الألباني له في تخريجه لرياض الصالحين صـ ٥٨٨، ٥٨٩ رقم ١٧٤٠، ومختصر صحيح مسلم ص٢٠، حديث رقم٥٦. الأنواء ثمان وعشرون منزلة: ينزل القمر كل ليلة في منزلة منها، ويسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلها ذلك الوقت في الشرق، فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة. وكانت العرب تزعم أن المطر يكون مع سقوط المنزلة وطلوع فيها، وينسبونه إليها، على طريق السببية. سمي بنوء؛ لأنه إذا سقط الساقط منها بالغرب ناء الطالع بالشرق، أي نهض وطلع.والسماء هنا المطر. [عن محقق الأدب المفرد - الشيخ محمد إلياس الباره بنكوي، أستاذ الحديث الشريف بالمدرسة الإسلامية بنيودلهي- ص٦٣٥، وراجع حاشية الشيخ الألباني في تخريجه لمختصر مسلم].

(٣) الأذكار للنووي ص٣١٨.

(٤) وفى رواية: ولكن ليعزم وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء".راجع: صحيح مسلم ٦٤/٨، ومختصر صحيح مسلم ٤٩٦، حديث رقم ١٨٧٨. ورياض الصالحين ص٥٩١، رقم ١٧٥٢.

بوقوعه في المستقبل[١]. وذلك لا يليق بمقام ربنا، عز وجل.

وقد تأثر بهذا التوجيهات التصحيحية النقدية النبوي علماء التصحيح اللغوي[٢] فأوردوه في مؤلفاتهم تصويبًا للكتّاب والنُّثار...وغير ذلك من التوجيهات النبوية العميقة في ميدان الدقة اللغوية التي تدل على إدراك لدلالات الألفاظ والعبارات في سياقاتها، وهذا ما قرره النقد العربي فيما بعد؛ إذ إن لكل ضرب من الحديث ضربًا من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوعًا من الأسماء[٣]. كما توسَّع النقاد والبلاغيون في الحديث عن ذلك داعين إلى ما سُمِّي برعاية المقام، وحسن انتقاء الألفاظ التي تُشاكل المعاني وتليق بها. وصدق مَن قال: لكل مقام مقال، ولكل زمان رجال"[٤].

* * *

(١) راجع المفصل في علوم البلاغة العربية ص١٩٤.

(٢) راجع على سبيل المثال: التهذيب بمحكم الترتيب لابن شهيد الأندلسي(ت٤٢٦هـ)ص١٤٦. نقلا عن المدخل إلى تقويم اللسان٢/٢٩٨، وتصحيح التصحيف للصفدي(ت٧٦٤هـ)ص٤٣٩.

(٣) راجع الحيوان للجاحظ ٣/٣٩، وقضايا نقد الشعر في التراث صـ١٨٤.

(٤)مختصر المقاصد الحسنة صـ٧٧، ونصوص النظرية النقدية صـ٥٧، والنظرة النبوية في نقد الشعر صـ٦٢.

الخاتـمة:

بعد هذه التطوافة مع نقد النثر في رحاب السنة النبوية أستطيع أن أعرض زُبدة ما توصلت إليه من نتائج في الآتي:

* لا حرج من إطلاق مصطلح "النقد الأدبي النبوي"- بمفهومه التراثي الواسع الفضفاض، لا الحداثي المتخصص الذي أصابته لوثة النقل من الآخر والوفوضى في الاصطلاحات والتطبيقات - على التعليقات النبوية الشريفة الصحيحة على الأدب والأدباء، مثل غيره من المصطلحات السيارة في ميادين الثقافة مثل: "السيرة النبوية"، و" البيان النبوي"، و"الطب النبوي" ، و"الفقه النبوي"... وغير ذلك من الإطلاقات. ولا أبالغ فأقول قول بعض الباحثين: إن النبي ﷺ ناقد من الطراز الأعلى، تفرغ تفرغًا تامًّا للأدب والأدباء، أو أن نقَداته تشريعات نقدية، مُلزمة إلزامًا جامدًا، بحيث لا يجوز مناقشتها والابتداع فيها والتطوير!!!

* الرسول ﷺ إنسان عربي، يمتلك طبعًا متمكنًا، وسليقة واعية، عنده أدوات النقد الأدبي الأساسية بدرجة معتدلة تناسب المقام الشريف، وظروف الحياة النبوية السامية؛ إذ لا يُستَطاع إنكار أن له ﷺ ذوقًا مرهفًا، ومعرفة بأهم الشعراء حوله من صحابته، ومن أعدائه، وقد ثبت - تاريخيًّا - أنه ﷺ سمع نصوصًا شعرية عديدة، من مطلعها إلى خاتمتها، وكانت له فيها ملاحظات خاصة، وتعليقات إيجابية بنَّاءة.

*نفي الشعر والكتابة عن الذات النبوية أمر مقرر قرآنيًّا لا جدال فيه، لكن لا يعني نفي إدراكه ﷺ لبعض آليات النقد الأدبي، وقدرته على معرفة الجيد من الرديء من الأدب، وتقديمه رؤيةً نقديةً إسلاميةً وسطيةً مرنةً، قابلةً للتجديد والتطور والتحديث. وإلا فكيف نفسر شمولية الرؤية النبوية للدين والدنيا معًا؟!

* النقد ضرورة، وهو مقدر في كل عصر ومصر، لا جدال في ذلك، شريطة أن يلتزم الموضوعية، بالحرص على التقويم، والتعليم والتوجيه، وبالبعد عن التشهير وتكلف المآخذ ونشرها!! فمن عجب أن لفظة Criticismمنحدرة من اللفظة الإغريقيةKritikos التي تعني القاضي، فالناقد قاضٍ، وفي ذلك تشريف لمهمته، ومزيد تكليف له وإلزام عليه بالدقة والإتقان فيما يصدر عنه من تحليل وتقييم وتقويم. وقد اتصل النقد بالحياة وبالنص الأدبي اتصالا وثيقًا، بحيث صار فنًّا - أو علمًا- طبيعيًّا في حياة الإنسان، متى أُوتي حظًّا- ولو كان هينًا - من قوى الإدراك والشعور، فذلك يمكّنه من فهم الأدب وتذوقه والحكم عليه أو له.

* الفصل بين الناقد والأديب أمر يكاد يفرض نفسه على واقع الحياة النقدية، بل أوجبه بعض النقاد ؛ إذ ليس مطلوبًا أن يتحول النقاد إلى شعراء يعانون تجارب الشعر حتى تتولد لديهم عواطف الشعراء وانفعالاتهم ؛ لأن ذلك أمر فوق التصور. وذلك الفصل بين الناقد والأديب يؤيد ما يذهب إليه البحث من أن نفي إبداع الشعر عن الذات النبوية لا يعني نفي إدراكها للنقد الأدبي وقدرتها عليه، ولم ينفِ امتلاكها لوسائله.

* التعليقات النبوية في ميدان الكلمة المتأدبة تعد في مجملها نقَدات جزئية موضعية، مجالها مضمون النص في المقام الأول، و عمادها الذوق، وهي أقرب إلى الحس الأخلاقي منها إلى الحس الفني المجرد، ومن ثَمَّ جاءت مُناسبة لعصرها، وملائمة لشخصية النبي - ﷺ- وهذا طَبَعي من قائد دعوة في بواكيرها الأولى.

* لم يحظَ النثر بالنقد مثلما حظي الشعر، ولم يُعرَف عن النقاد في الأسواق أنهم قد اهتموا بتوجيه أحكامهم النقدية للنثر. ولا أدل على ذلك من أننا لا نجد تحديدًا علميًّا لمصطلح النثر في التراث. وقد تمثل النقد النبوي للنثر في مَعْلمين

أساسيين، جلاهما البحث تحت مسمى"تثمين دور النثر"، ومسمى"تأسيس معايير النقد النبوي للنثر".

*عَدَّد البحث معايير النقد النبوي للنثر في: قصد الوضوح، والإيجاز، ورفض الحشو والتطويل، ومحاربة التكلف، والدقة الأسلوبية...

ذلك، ولا أدعي أن تحليلي هذا قد جَلّى جميع معايير النقد النبوي للنثر، فما زال فيه أبعاد معطاءة، ومناطق منداحة، تحتاج إلى مزيد من القراءة، والاستبطان، من ذوائق أُخر، وبآليات نقدية أخرى.

* * *

ثبت أهم مراجع البحث ومصادره:

ثبت أهم المصادر:

- **الأدب المفرد الجامع للآداب النبوية للإمام البخاري(ت٢٥٦هـ)**، تحقيق الشيخ محمد إلياس الباره بنكوي، طبع المركز العربي للكتاب بالشارقة سنة ٢٠٠٤م.
- **الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار للإمام النووي(ت٦٧٦هـ)** طبع دار القلم، بيروت سنة ١٩٥٥م.
- **البيان والتبيين الجاحظ(ت٢٥٥هـ)**، تحقيق الشيخ/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
- **تاج العروس**، الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، المطبعة الخيرية بمصر، سنة ١٣٠٦هـ.نشر دار صادر ببيروت.
- **التكملة والذيل والصلة للزبيدي(ت١٢٧٦هـ)**، تحقيق أ/مصطفى حجازي، وآخرين طبع القاهرة سنة ١٩٦٨م.
- **التهذيب بمحكم الترتيب لابن شهيد (ت٤٢٦هـ)**، تحقيق د/حاتم الضامن، طبع دار البشاير الإسلامية سنة ٢٠٠٢م.
- **دلائل الإعجاز للجرجاني(ت٤٧١هـ)**، تحقيق الشيخ محمود شاكر، نشر الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة سنة٢٠٠٤م.
- **رياض الصالحين للإمام النووي**، تخريج الشيخ الألباني، طبع المكتب الإسلامي سنة ١٩٩٢م.
- **الصناعتين**، للعسكري(ت بعد٣٩٥هـ) تحقيق الدكتور مفيد قميحة. دار الكتب العلميةببيروت سنة ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
- **العقد الفريد لابن عبد ربه(ت٣٢٨هـ)**، تحقيق أحمد أمين، وأحمد الزين، وأحمد الإبياري، طبع القاهرة، سنة ١٩٥٢م.
- **العمدة لابن رشيق(ت٤٥٦هـ)** تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد، طبع دارالجيل بيروت١٩٧١م.
- **العين للخليل بن أحمد**، تحقيق د/مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، طبع مؤسسة الأعلمي ببيروت سنة ١٩٨٨م.

- **لسان العرب** لابن منظور ت(٧١١هـ) تحقيق عبدالله الكبير وآخرين، دار المعارف القاهرة.د.ت.
- **مختصر صحيح مسلم** للحافظ زكي الديني عبدالعظيم المنذري الدمشقي(ت٦٥٦هـ)، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي سنة ٢٠٠٠م.
- **مقاييس اللغة لابن فارس(ت٣٩٥هـ)**، تحقيق ا/عبدالسلام هارون، طبع الخانجي بالقاهرة سنة ١٩٥٨م.
- **مواد البيان لعلي بن خلف الكاتب(ت بعد٤٣٧هـ)**، تحقيق حاتم صالح الضامن، طبع دار البشاير بدمشق سنة ٢٠٠٣م.
- **منهاج البلغاء وسراج الأدباء حازم القرطاجى (ت٦٨٤هـ)**، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، طبع دار الكتب الشرقية بتونس سنة ١٩٦٦م. وطبع دار الغرب الإسلامي ببيروت سنة ١٩٨٦م.

ثبت أهم المراجع :

- **الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي**، د/ محمد بن مريسي الحارثي، طبع الرياض ١٩٩١م.
- **أحكام وآداب من السنة النبوية المطهرة**، د/ صالح معتوق، طبع دار البشاير الإسلامية ببيروت سنة ٢٠٠٢م.
- **الأدب المقارن**، د/ محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر بالقاهرة.
- **الأدب ومذاهبه**، د/محمد مندور، طبع دار نهضة مصر، سنة ٢٠٠٤م.
- **أصول النقد الأدبي**، الأستاذ أحمد الشايب، طبع مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٧٣م.
- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية** للأستاذ مصطفى صادق الرافعي، طبع دار الكتاب العربي ببيروت.د.ت.
- **الأعلام للأستاذ خير الدين الزركلي(ت١٩٧٦م)**، طبع دار العلم للملايين. بيروت- لبنان. ١٩٨٦م.
- **بدايات في النقد الأدبي**، د/هاشم صالح مناع، طبع دار الفكر العربي في بيروت سنة ١٩٩٤م.
- **بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار** للشيخ/ عبد الرحمن السعدي (ت١٣٧٦هـ)، طبع وزارة الشئون الإسلامية بالسعودية سنة ١٤٢٣هـ.
- **بيئات نقد الشعر عند العرب**، د/ إسماعيل الصيفي، طبع دار المعرفة سنة ١٩٩٠م.
- **البيان المحمدي**، د/مصطفى الشكعة، طبع الدار المصرية للنشر والتوزيع سنة ١٩٩٥م.

- **البيان النبوي**، د/ محمد رجب البيومي، طبع دار الوفاء بالمنصورة سنة ١٩٨٧م.
- **التفكير النقدي عند العرب**، د/ عيسى علي العاكوب، طبع دار الفكر المعاصر ببيروت سنة ٢٠٠٠م.
- **التحرير والتنوير** للشيخ الطاهر ابن عاشور، طبع دار سحنون بتونس سنة ١٩٩٧م.
- **دراسات في أدب الدعوة الإسلامية**، د/ محمود حسن زينى، طبع القاهرة سنة ١٩٨٧م.
- **دراسات في النقد الأدبي**، د/عثمان موافي، طبع دار الوفاء بالإسكندرية سنة ٢٠٠٣م.
- **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، د/مهدي رزق الله، طبع مركز الملك فيصل بالرياض سنة ١٩٩٢م.
- **شعر السيرة النبوية : دراسة و توثيق**، د/ شوقي رياض، ط ١، طبع دار المأمون بالقاهرة سنة ١٩٨٧م.
- **عبقرية محمد ﷺ** أ. عباس العقاد، طبع المكتبة العصرية ببيروت، ودار الكتاب العربي سنة ١٩٦٩م.
- **في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية**، د/ محمد طه الحاجري، طبع دار النهضة العربية ببيروت سنة ١٩٨٢م.
- **في ظلال القرآن**، للأستاذ سيد قطب، طبع دار الشروق سنة ١٩٩٦م.
- **في النظرية الأدبية والحداثة**، د/حلمي علي مرزوق، طبع دار الوفاء بالإسكندرية، سنة٢٠٠٤م.
- **قضايا نقد الشعر في التراث**، د/محمد أحمد العزب، مطبعة والي بالمنصورة، ١٩٨٤م.
- **القول المبين في تفسير سورة يسن**، د/ حسن عبيدو، طبع مركز الكتاب العلمي سنة ١٩٩٣م.
- **قيم جديدة للأدب العربي والمعاصر**، د/عائشة عبدالرحمن، طبع دار المعارف سنة ١٩٩٢م.
- **المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك**، د/ عبد العزيز حمودة، طبع سلسلة عالم المعرفة بالكويت سنة ١٩٩٨م.
- **المفصل في علوم البلاغة العربية**، د/عيسى العاكوب، طبع دار القلم بدبي سنة ١٩٩٦م.
- **من أدب الدعوة الإسلامية**، د/ عباس الحراري، دار الثقافة بالدار البيضاء سنة ١٩٨١م.
- **من صحائف النقد الأدبي الحديث** صـ٦٥، د/ عبد الوارث عبد المنعم الحداد، طبع سنة ١٤١٠هـ = ١٩٨٩م.

- **منهج الفن الإسلامي**، الأستاذ محمد قطب، طبع دار الشروق بالقاهرة، سنة١٩٨٣م.
- **النظرة النبوية في نقد الشعر**، د/ وليد قصاب، طبع مكتبة علوم القرآن بالشارقة سنة١٩٨٧م.
- **النقد الجمالي وأثره في النقد العربي**، د/ روز غريب، طبع دار العلم للملايين ببيروت سنة ١٩٥٢م.
- **نقد النثر في التراث النقدي والبلاغي**، د/فتحي علي عبده، طبع مكتبة الآداب بالقاهرة سنة ١٩٩٨م.

ثبت الدوريات :

- **حديث قس بن ساعدة الإيادي: تحقيق** د/ صالح مناع، العدد الثاني من مجلة كلية الدراسات بدبي سنة١٩٩١م.
- **الرسول والشعر**، مقال للأستاذ يوسف العظم في مجلة مركز البحث العلمى بمكة ١٤١/٢، طبع ١٣٩٩م.

ثبت الأسطوانات الحاسوبية العلمية :

- مكتبة الأدب العربي، الإصدار الثاني، إعداد مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، بالأردن.
- مكتبة الجامع الأكبر للتراث العربي، الصادرة عن مؤسسة العريس .
- **الموسوعة الذهبية للحديث النبوي الشريف**، الصادرة عن مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي بالأردن.

ثبت المواقع الإنترنت :

- http://www.al-islam.com
- http:// www.altafsir.com
- http:// www.alsunnah.com
- Alimbaratrur.comhttp:// www
- http:// www.alwarraq.com
- Azaheer.org http:// www.
- http:// www.Kwtanweer.com
- http:// www.Marxists.org
- .Syriostar.comhttp:// www
- www.waqfeya.net/shamela http://
- http:// www.Wikpedia.org